الخطابة

بين العلم النظري والفن التطبيقي

تأليف

عبد الرحيم أرشد

Kolej Universiti Islam Malaysia
جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا
Islamic University College Of Malaysia

Perpustakaan KUIM
Unit
Arkib

الخطابة

بين العلم النظري والفن التطبيقي

الخطابة

بين العلم النظري والفن التطبيقي

تأليف
عبد الرحيم أرشد

جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا

الطبعة الأولى ٢٠٠٦م / ١٤٢٧هـ
© كل الحقوق محفوظة لجامعة العلوم الإسلامية بماليزيا

رقم التسلسل الدولي ISBN 983-2950-12-0

لا يسمح بإعادة طبع أو تصوير كل أو أي جزء من هذا الكتاب، بأي شكل من الأشكال الإلكترونية، أو الآلية بما في ذلك التصوير أو النسخ أو التسجيل الصوتي أو التخزين الإلكتروني إلا بموافقة خطيّة مسبقة من الناشر.

Perpustakaan Negara Malaysia Data Pengkatalogan-dalam-penerbitan

Abd. Rahim Arsyad
[Al-khitabah bayna al-ilmi al-nazary wa al-fanni al-tatbiqy]

Abd. Rahim Arsyad
ISBN 983-2950-12-0
1.Da'wa (Islam). 2. Islam-Missions. 3. Public speaking--Religious
--aspects--Islam I.Judul
297.74

الناشر
قسم النشر / Publication Unit
جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا / Kolej Universiti Islam Malaysia
Bandar Baru Nilai, 71800 Nilai,
Negeri Sembilan.
Telephone : 06-798 8044 / 8045 Fax : 06-794 1143

الجمع الفني والطباعة
Intel MULTIMEDIA AND PUBLICATION (iMAP)
4 – 4 , The Right Angle, Jalan 14 / 22 , Seksyen 14,
46100 Petaling Jaya, Selangor Darul Ehsan.
Tel: 03-7954 0316 Fax: 03-7958 4450
e-mail: intelmap@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي علَّم الإنسان البيان وفصَّل الخطاب، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كرَّم الإنسان بالعقل وميَّزه بالمنطق وأقام حياته على الخطاب، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفصح العرب لساناً وأبينهم منطقاً وأوضحهم في الخطاب. ألهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أولي الفضل في نشر الدعوة الإسلامية بالقدوة والخطاب، ومن دعا بدعوته إلى يوم يقـــوم فيه الحساب.

أما بعد: فلقد اهتم الإنسان بالخطاب منذ وجوده حيث كان الخطاب هو وسيلة التخاطب والاتصال لبني البشر، لأن الخطابة بوجه عام والخطـــابة الدينية على وجه الخصوص ذات تأثير نفسي عميق وتوجيه اجتماعي أصيل، ومن هنا كان لعلم الخطابة ميزة على غيره من العلوم، لأنه وُلِدَ مع الإنسان، فهو قديم قدم الحضارات المتعددة. وقد تبوأ هذا العلم مكانته بين العلوم خاصة بعد أن ألَّف أرسطو كتابا مستقلا عن الخطابة، ثم جاء بعده الفيلسوف المسلم أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمدبن رشد وقام بتلخيصه وأسماه تلخيص الخطابة، وبعدهما كثرت المؤلفات فى هذ العلم وظهر الخطباء في كل عصر حيث كانت الخطابة ولا زالت من أهم الوسائل لنشر الدعوة.

وظلت الخطابة من أهم الوسائل للدعوة إلى الله فى صدر الإسلام تؤدي دورها على خير ما يكون فكانت خير وسيلة لنشر الدعوة الإسلامية. وفي العصر الحديث نلمس دور الخطابة واضحاً، فليس بين فنون الكلام ما ينهض وسيلة للتأثير في الناس كالخطابة الدينية خاصة حين تلم بالناس الملمات وتكثر الفتن والانحرافات والانحلال الخلقي والفساد، أو حين يعني الأمر عاليهم أو صفوتهم فلا يجد الناس ملاذا إلا خطيب المسجد وإمامه، أو

العالم الذي يؤهم في صلاتهم، أو يجمعهم على كلمة الحق أو يلجؤون إلى الخطباء الذين لا يخافون لومة لائم.

ومن ثم كانت أهمية الخطابة والعناية بها قديماً وحديثاً لما لها من تأثير بليغ وأثر بيّن في حياة البشر.

ولا يخفى على كل ذي لب مدى حاجة المجتمعات الإسلامية إلى الخطابة الدينية خاصة هذه المجتمعات التي ظهرت فيها التيارات الفكرية المنحرفة والمذاهب الهدامة والدعوات الباطلة حيث يحتاج الناس إلى مَنْ يصحح لهم هذا الفكر ويردهم إلى الطريق السليم والمنطق الصحيح، ولا يستطيع مَنْ يعمل في حقل الدعوة أن يرد الناس إلى الصواب إلا إذا ملك زمام أمورهم باستمالتهم إليه بالقول الحسن والكلمة الطيبة، ولن يستطيع ذلك إلا إذا درس الخطابة علمياً نظرياً ووقف على أسلوبها وكيفية إعدادها وتمرَّس وتفنَّنَ في أدائها عملياً تطبيقياً.

ومن ثم كان الاهتمام بالخطابة الدينية وتدريسها لكل مَنْ يعمل في حقل الدعوة الإسلامية والاهتمام بها كعلم من العلوم النافعة التي يعود نفعها على الأمة الإسلامية. ومن أجل ذلك كتبت هذا الكتاب بعنوان: "الخطابة بين العلم النظري والفن التطبيقي" أرجو الاستفادة لطلبتنا الأعزاء ولكل مَنْ يعمل في حقل الدعوة إلى الله على بصيرة.

والكتاب كما هو واضح في عنوانه يركِّز على الخطابة كعلم نظرى له أصوله وقواعده، وكفن تطبيقي له كيفية الأداء وطريقة الإلقاء. والخطابة في هذا العصر تحتاج إلى تقويم وتطوير من حيث الأداء والإلقاء والموضوع، مما يحتاج إليه لخطباء في الوقت الحاضر.

وقد اتبعْتُ في كتابة هذا الكتاب المنهج العلمي حيث قمْتُ بتقسيمه إلى قسمين: القسم الأول يتناول الخطابة علميا نظريا، ويتكوَّن من ثلاثة فصول ولكل فصل مباحث. والقسم الثاني يتناول الخطابة فنياً تطبيقياً وفيه أربعة فصول ولكل فصل مبحثان. أما في الفصل الرابع فذكرت فيه نماذج من الخطب المعاصرة فى مختلف المناسبات ثم تأتي الخاتمةُ، وأهم المصادر والمراجع التى رجعْتُ إليها.

هذا ما وفقني الله عز وجل للقيام به، والله أسألُ أن يجعلني من الذين ساهموا في بناء هذا العلم (الخطابة) وأن يسددني في جميع ما أكتب فيه، وأن يهديني إلى الخير ويبصرني بعيوبي، وأن يبارك هذا الجهد وأن يحقق به ما أردت من النفع والخير.

وعلى الله قصد الخير وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب. والحمد لله رب العالمين.

إعداد

الدكتور عبد الرحيم أرشد

كوالالمبور

القسم الأول

الخطابة

نظرياً علمياً

الفصل الأول

الخطابة وأهميتها ونشأتها وصلتها بالعلوم الأخرى

المبحث الأول
تعريف الخطابة ومبادئها

الخطابة لغة: الخطابة مصدر من فعلين: أولهما: خطب - يخطب خطابة وخطبة والفعل يتعدى بنفسه وبحرف الجر "في وعلى" يقال: خطب الناس وخطب فيهم، وخطب عليهم "أي ألقى عليهم خطبة. ثانيهما: خطب يخطب أي صار خطيباً"[1]. فالخطابة من الفعل الأول تدل على أنها مصدر بمعنى الخطبة والخطاب والكلام الذي يلقيه المتحدث على الجماعة. والخطابة التي جاءت من الفعل الثاني تدل على القيام بعمل الخطابة، والقائم بها يسمى خطيباً، وجمعه خطباء[2].

وجاء في لسان العرب: والخطاب والمخاطبة مراجعه الكلام وخاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان. ورجل خطيب حسن الخطبة، وجمع الخطيب خطباء وخطب بالضم خطابة بالفتح صار خطيباً أما الخِطبة بالكسر، فهي مصدر وفعله خطب يخطب أيضاً. يقال خطب المرأة يخطبها خطبة والخطيب الذي يخطب المرأة، والجمع أخطاب. وقال تعالى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ ﴾[3]. وفي الحديث: نهى

---

(١) المعجم الوسيط، جـ١، ص٢٤٢-٢٤٣.

(٢) انظر لسان العرب، جـ١، ص٣١٠ مادة خطب، والمصباح المنير، جزء ١، ص٢٧٠ في مادة خطب.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣٥.

رسول الله أن يخطب الرجل على خِطبة أخيه[٤] وعلى هذا، فإن - خَطَبَ - يشتق منه خِطبة بالكسر وخُطبة بالضم. والفرق بينهما إذن، إنَّ الخِطبة بالكسر طلب الزواج، بينما الخُطبة بالضم هي الموعظة والبيان الشافي المؤدي إلى الإقناع والاستمالة، إذا أطلقنا كلمة "الخطابة" فإنها تدل على القيام بعمل الخطابة والكلام أو الخطاب، وتشير أيضاً إلى عملية المواجهة بالكلام مع طلب الإصغاء بين المتحدث والمستمعين لأنهم في العادة يتوجهون نحو المتحدث إليهم لسماع خطابه لهم، وكذلك المتحدث يكون في مواجهة الجماعة ليلقي عليهم الخطاب، فالطرفان في المواجهة عادة ويشتركان في تكوين عمل الخطابة وإنجاحها[٥].

أما في الاصطلاح، فقد وضع العلماء عدة تعريفات للخطابة نورد بعضًا منها: يقول أرسطو: إن الخطابة هي القدرة على النظر في كل ما يوصل إلى الإقناع في أي مسألة من المسائل[٦] ويقول ابن رشد: الخطابة هي قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأشياء المفردة[٧].

وذهب أبو إسحاق إلى أن الخطبة عند العرب هي الكلام المنثور المسجوع ونحوه[٨]، والذي ينظر إلى تعريف أرسطو وابن رشد يجد أنهما يدوران حول تعريف الخطيب صاحب القدرة على الإقناع وصاحب القدم الراسخة في مجال الخطابة والتأثير، وكذلك ما ذهب إليه أبو إسحاق إلى أنها مجرد كلام منثور مسجوع بدون قصد الإقناع والاستمالة، وليس هذا هو المراد إنما المراد تعريف الخطابة بالمعنى العام، ونلاحظ أن عميم الإحسان

---

(٤) صحيح مسلم، جـ١، تحريم الخطبة.

(٥) الدكتور السيد محمد عقيل بن على المهدلي، الخطابة ومكانتها في الدعوة الإسلامية، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص١١.

(٦) أرسطو، الخطابة، تحقيق الدكتور إبرهيم سلامة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ص٩٠.

(٧) ابن رشد، تلخيص الخطابة، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٧م، ص١٤.

(٨) لسان العرب، جـ١، ص٣٦١.

المجددي في كتابه، قواعد الفقه – مادة خطب قد اقترب من المعنى الذي نريده فعرَّف الخطابة بقوله: "كلام منثور مؤلف يُخاطبُ به الفرد الجماعةَ قصدَ الإقناعِ"[٩] وكذلك ما عرَّفها به الشيخ إبرهيم الصباغ بأنها: خطاب يلقى من فرد على جماعة بقصد التأثير وإقناعهم واستمالتهم[١٠].

وعرَّفها البعض الآخر بقوله: "إنها حدة التصور وقوة التصوير"[١١]. فهذه التعاريف الثلاثة تشير إلى أن الخطابة تتكوَّن من خمسة عناصر أساسية تؤدي العمل المطلوب من إقامتها وهي:

١) الخطاب الذي يلقيه الخطيب على الجماعة.
٢) الفرد الذي يُلقى الخطاب.
٣) الجماعة أو المستمعون.
٤) التأثير في النفوس وإقناعها واستمالتها.
٥) القوة على تصوير الأفكار والتعبير الواضح والأسلوب الجميل.

بناء على ذلك فإن الخطابة "هي الخطاب الذي يلقيه الخطيبُ على الجماعة بقصد التأثير في نفوسهم وإقناعهم بأفكاره العميقة الواضحة من الأمور الدينية والدنيوية بتعبير واضح وأسلوب جميل"[١٢] هذا عن الخطابة، فماذا عن علم الخطابة؟ وقد لاحظ الأقدمون والمحدثون أن الخطابةَ علمٌ له أصوله وقوانينه مَنْ أخذ بها عُدَّ خطيباً. والحقيقة أن هذا العلم يرشد دارسه إلى مناهج ومسالك ولا يجعله بالضرورة خطيباً، بل يعطيه المصباح ولا يضمن له الرؤية قد يكون في عينه رمد ويعطيه الألة وقد يكون غير مؤهل لاستعمالها فهذا العلم إذن لا يُشكِّل الإنسانَ؛ ولكن يهديه ويدله على الطريق المستقيم[١٣].

---

(٩) الدكتور توفيق الواعي، الخطابة وإعداد الخطيب، دار اليقين، مصر، ط٣، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص١٢.
(١٠) الشيخ إبراهيم الصباغ، البلاغة والأدب، جـ٢، ص٩١.
(١١) الشيخ إبرهيم الصباغ، المرجع السابق، جـ٢، ص٩١.
(١٢) الدكتور محمد عقيل بن على المهدلي، المرجع السابق، ص١٢.
(١٣) الدكتور توفيق الواعي، المرجع السابق، ص١٢.

تعريف علم الخطابة

قدَّم العلماء الذين لهم باع طويل في هذا المجال تعاريف كثيرة نورد منها ما يلي:

١) عرَّفه الدكتور محمود محمد عمارة: بأن علم الخطابة فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة[١٤].

٢) عرَّفه الدكتور أحمد الحوفي: بأنه فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته[١٥].

٣) وعرَّفه الدكتور مصلح سيد بيومي: بأنه فن من فنون الكلام يقصدبه التأثير في الجمهور عن طريق السمع والبصر معاً[١٦].

٤) وعرَّفه الشيخ علي محفوظ: بأنه مجموع قوانين يقتدر به على الإقناع الممكن في أي موضوع يُراد[١٧].

٥) كما عرَّفه الدكتور نذير محمد مكتبي: بأنه علم معرفة طرق أداء الكلام ونقل الأفكار إلى عقول السامعين وأحاسيسهم بصورة مخصوصة وصفات معينة[١٨].

وإذا نظرنا إلى هذه التعريفات المذكورة فنجد أنها رغم اختلافهم في العبارة والاصطلاح، فإنهم متفقون من حيث المعنى والغرض، بعضها مقصورة على فن التطبيق وبعضها مقصور على العلم النظري، مع أن الخطابة علم له قواعده ومناهجه وموضوعاته وأهدافه، وكذلك فن له كيفية الأداء وطريقة الإلقاء.

---

(١٤) الدكتور محمد محمود عمارة، الخطابة في موكب الدعوة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، العدد الخامس عشر ربيع الأول، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص٩.

(١٥) الدكتور أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٤، ص.٩.

(١٦) الدكتور مصلح سيد بيومي، الخطابة في الإسلام، دار الطباعة المحمدية، ط١، القاهرة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص٧.

(١٧) الشيخ علي محفوظ، مذكرة الخطابة، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، ط٣، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م، ص٩.

(١٨) الدكتور نذير محمد مكتبي، خصائص الخطبة والخطيب، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص٢٢.

ولذلك نرى أن أنسب التعاريف لعلم الخطابة ما عرَّفه الدكتور أحمد أحمد غلوش وذلك لاشتماله على كل عناصر الخطابة من القواعد والأداء والهدف حيث قال: إن الخطابة "علم يقتدر بتطبيق قواعده على مشافهة المستمعين بفنون القول المختلفة لمحاولة التأثير في نفوسهم وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم وإقناعهم"[١٩]. وكذلك ما عرَّفه الدكتور محمد عقيل المهدلي، بأنه علم يدرس فيه قواعد مخاطبة الجماعة وكيفية استعمالها بقصد التأثير في نفوسهم وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم وترهيبهم وإقناعهم بموضوع من الموضوعات بتعبير واضح وأسلوب جميل[٢٠].

موضوع الخطابة وعلم الخطابة

أما موضوع الخطابة، فيقول ابن رشد ناقلاً عن أرسطو: ليس للخطابة موضوع خاص تبحث عنه بمعزل عن غيره، فإنه لا تخيم عن النظر في كل العلوم والفنون ولا شيء حقيراً أو جليلاً معقولاً أو محسوساً إلا يدخل تحت حكمها ويخضع لسلطان لسانها. ومن ثم يترتب على الخطيب أن يكون له إلمام بكل صنف من المعارف، بل ينبغي له أن يوسِّعَ كلَّ يومٍ نطاقه ومداركـــه[٢١] إذن، فالخطابة موضوعها أو ميدانها فسيح يتسع حتى يشمل جميع جوانب الحياة الدينية والدنيوية من العقائد والشريعة والأخلاق والشؤون والسياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والعسكرية وغير ذلك مما يحقق للإنسانية سعادة الدارين؛ الدنيا والآخرة.

أما موضوع علم الخطابة، فإن بعض الباحثين اعتبروا الخطابة علماً من العلوم لا بد له من موضوع شأنه في ذلك شأن العلوم كلها لأن لكل علم موضوعاً خاصاً به، وإذا نظرنا إلى التعريفات التي قدمناها فإننا نجد في هذه التعريفات دليلاً واضحا بأن موضوع الخطابة يدور حول قواعد المشافهة أو قوانين الإقناع أو طرق أداء الكلام ونقل الأفكار. ولذلك

---

(١٩) الدكتور أحمد أحمد غلواش، علم الخطابة، دار الجيل للطباعة، القاهرة، ط١، ١٩٧١م، ص٩.

(٢٠) الدكتور محمد عقيل المهدلي، المرجع السابق، ص١٤.

(٢١) ابن رشد، تلخيص الخطابة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٠م، ص١٥.

يقول الدكتورمحمد عقيل المهدلي، إن موضوع علم الخطابة، هو القواعد الأساسية المنطقية والأخلاقية لطريق المخاطبة مع الجماعة بقصد التأثير في نفوسهم وحملهم على المراد منهم بالترغيب والترهيب والإقناع بالتعبير الواضح والأسلوب الجميل، وتدخل في الموضوع القوانين الموضوعة لضبط أفكار المتكلم والعبارات التي ينقل بها أفكاره إلى الأمة لعصمته من الأخطاء حتى يكون موفقاً في رسالتها الإسلامية، وهي التأثير في الأمة الإسلامية وحملهم على العمل بالتعاليم الإسلامية[٢٢].

ثمرة علم الخطابة

إن لهذا العلم مكانةً عظيمةً ودوراً كبيراً في إنجاح الدعوة وتقدمها في نشر التعاليم الإسلامية بين الأمم الإسلامية وغير الإسلامية. وبناء على ذلك فإن فوائد هذا العلم تظهر بجلاء في الإمامة والقائمين بالخطابة. فإن علم الخطابة يقدم إليهم القواعد الأساسية أو المبادئ الهامة في كيفية مخاطبة الأمة بقصد التأثير فيهم وحملهم على العمل بالإسلام إذا درسوا هذه القواعد دراسةً وافيةً وفهموه فهماً صحيحاً، فإنهم بذلك حصلوا على علم الخطابة النظري وتسلحوا بسلاح خطير وأعدوا أنفسهم للدّخول في ميدان الخطابة العملية بثقة كاملة للقيام بالمسؤولية في أحسن صورة ممكنة[٢٣].

من خلال هذه الأمور نستطيع أن نقول: إن لعلم الخطابة بعد دراسته فوائد كثيرة منها:

١) الحصول على المعلومات الهامة عن كيفية القيام بالخطابة العلمية والأخلاقية.
٢) الثقة بالنفس أمام الأمة في تقديم الأفكار إليهم.
٣) العصمة عن الوقوع في الأخطاء الفكرية والسلوكية.
٤) الانتظام الفكري والسلوك المقبول والعرض الجميل، أثناء إلقاء الخطبة.
٥) التأثير العميق في النفوس وإقناع العقول.

---

(٢٢) الدكتور محمد عقيل المهدلي، المرجع السابق، ص١٥.
(٢٣) الدكتور محمد عقيل المهدلي، المرجع السابق، ص١٦.

وغير ذلك من الفوائد التي يحصل عليها الدارسون في دراستهم لعلم الخطابة[٢٤] وإلى المستمعين فإنهم يستفيدون أيضاً من علم الخطابة بطريقة غير مباشرة، فإنهم إذا وجدوا متكلماً عالماً فاضلاً منتظماً في أفكاره، ومؤدبا في عرض كلامه ومراعياً للظروف المحيطة به، واثقاً بنفسه يُقدِّم موضوع خطابه بتعبير واضح وأسلوب جميل، فإنهم إذا وجدوا مثل هذا المتحدث، يُقبلونَ على الخطابة بصورة مرضية، على اعتقادٍ منهم أنهم سيستفيدون منه في أمور دينهم ودنياهم ويتأثرون به تأثراً عميقاً، وينقادون له فيما يدعوهم إليهم ولا يتأخرون عنه، ويترصدون حضوره في أية مناسبة من المناسبات الدينية ليستمعوا إليه، زيادة في العلم وحبّاً له[٢٥]. وصفوة القول يكفي أن يظهر في حقل الدعوة الإسلامية رجال متخصصون في علم الخطابة ومتقنون في إلقاء كلماتهم أمام الأمة موقرون في نفوسهم، ومقنعون بأدلةٍ واضحةٍ وأسلوبٍ جميلٍ في عقولهم، ومطاعون فيما يدعون إليه. إضافة إلى ذلك، لماكانت الخطابة يراد بها التأثير في نفوس السامعين ومخاطبة وجدانهم وإثارة أحاسيسهم للأمر الذي يراد به الإذعان للحكم إذعاناً ويُسَلَّمُ به تسليماً، فنجد ثمرتها كثيرة جداً، منها ما يقوله ابن رشد ناقلاً عن أرسطو: إنه بهذا العلم نحث المذنبين على الأعمال الفاضلة، وذلك أن الناس بالطبع يميلون إلى ضد الفضائل العادلة، فإذا لم يضبطوا بالأقاويل الخطابية غلبت عليهم أضداد الأفعال العادلة، وذلك شيء مذموم فيستحق فاعله التأنيب والتوبيخ.

وكذلك أنه ليس كل صنف من أصناف الناس ينبغي أن يستعمل معهم البرهان في الأشياء النظرية التي يراد منهم اعتقادها، وذلك لأن الإنسان قد نشأ على شهوات تخالف الحق. فإذا سلك به نحو الأشياء التي نشأ عليها سهل إقناعه وذلك لأن فطرته ليست معدة لقبول البرهان أصلاً، وأما أنه لا يمكن بيان له في ذلك الزمن اليسير الذي يراد منهم وقوع التصديق فيه، فهذا الصنف الذي لا يجد معه الاستدلال المنطقي تهديه الخطابة إلى الحق

---

(٢٤) نفس المرجع.

(٢٥) نفس المرجع.

الذي يراد اعتناقه، لأنها تسلك من المناهج ما لا يسلكه المنطق[٢٦]. وكذلك علم الخطابة ينير الطريقة أمام دارسه ليربي ملكاته وينمي مواهبه ويرشده إلى طريق إصلاح نفسه ويكشف لما عنده من عيوب، ليسير في الطريق الصحيح، والمنهج القويم. إنه ينير الطريقة لدارسه، لا يحمل على السلوك، وهو يعطيه المصباح ولا يضمن له أن يرى به إذا كان في عينيه رمد، وأن أرسطو واضع كتاب الخطابة لم يكن خطيباً، بل قال فيه الجاحظ: "أنه كان بكيء اللسان"[٢٧]. ويقول ابن رشد: "وليس عمل هذه الصناعة أن تقنع ولا بد، أعني أنه ليس يتبع فعلها الإقناع ضرورة، بل عملها أن تعرف جميع المقنعات في الشيء وتأتي بها في ذلك الشيء وإن لم يقنع إقناع"[٢٨].

وليس علم الخطابة بدعاً في ذلك، فكل العلوم النظرية التي تظهر ثمرتها في العمل تعطي من يريدها قانونا يساعده، ولا تضمن له العمل إلا إذا اراد نفسه على قانونها.

وبالخطابة تُحل المشكلات، وتقطع، وتهدئ النفوس الثائرة، وتثار حماسة ذوي النفوس الفاترة، وهي التي ترفع الحق، وتخفض الباطل، وتُقيمُ العدلَ، وتُزيغُ الظلمَ، فهي صوت المظلومين، ولسان الهدايـــة[٢٩].

---

(٢٦) ابن رشد، تلخيص الخطابة، المرجع السابق، ص١٠-١١.

(٢٧) الإمام أبو زهرة، الخطابة، دار الفكر العربي، القاهرة، ص٩.

(٢٨) ابن رشد، المرجع السابق، ص١٣.

(٢٩) ابن رشد، المرجع السابق، ص١٣.

المبحث الثاني
أنواع الخطابة

ذكر الباحثون أنَّ أول مَنْ عنى بتقسيم الخطابة هو أرسطو، حيث قسَّم الخطابة إلى ثلاثة أقسام تبعاً لأصول الزمن من ماضٍ وحاضر ومستقبل، وهي:

الأول: الخطبة المشاجرية: هي التي تتعلق بالتنازع والتشاجر فهي أمور حدثت في الماضي والغاية منها، الدفاع عن متهم لتبرئته أو الحكم عليه بإدانته وهي اختصاص المحامين والقضاة ورجال النيابة وهذا النوع يختص بالماضي إذ يُطلبُ فيها من المحكومين قضاء ما حدث، ووجد بالفعل وانتهي زمنه. فموضوع الخطبة يدور حول حدث قد انتهي ويُعرفُ هذا النوع بالخطبة القضائية.

الثاني: الخطبة التشبيتية، هي التي تختص بالزمن الحاضر، وتهدف إلى المدح والذم بوصف ما هو كائن، وإثبات موضوعها بالطرق الإجمالية الممكنة وتدعو إلى الفضائل والنهي عن الرذائل، ويعرف هذا النوع بالخطبة الاستدلالية أو البيانية.

الثالث: الخطبة المشورية: هي التي تشتمل على التوجيهات الآمرة والناهية في المستقبل. والغرض منها استمالة الجماهير نحو أمر يُرجى خيره أو يُحال بينهم وبين ضده، والعمل على إقناع السامعين بما يدعو إليه الخطيب.

ومنها: الخطبة البرلمانية التي تتناول شؤون الدولة من حرب وسلم وتشريع وغيره[1]، وهذا النوع يختص بالمستقبل، لأن الخطيب يعرض على الناس عملاً لم يحدث بعد. إذن، الخطابة المختصة بالماضي تسمى بالخطبة القضائية، والتي تختص بالزمن الحاضر تسمى بالخطبة الاستدلالية، والتي تختص بعد ذلك بالزمن المستقبل تسمى بالخطبة الاستشارية[2].

---

(١) ابن رشد، المرجع السابق، ص٢٩-٣٠ بتصرف.

(٢) الدكتور أحمد محمد الحوفي، المرجع السابق، ص٦٣ بتصرف.

ولكل واحد من الأقوال المذكورة غاية. فغاية المشوري النفع والضر، وغاية المشاجري: العدل والجور، وغاية التثبيتي: الفضيلة والرذيلة[٣].

وفي العصر الحديث تطورت أحوال المعيشة المدنية والسياسية والدينية وغيرها مما استدعى اعتماد تقسيمات جديدة تعتمد على موضوع الخطبة وعلى تقدير وتوجيه الخطيب لها، فقام الباحثون عن الخطابة في هذا العصرالحديث بتقسيم الخطابة على النحو التالي:

- **الخطابة السياسية**
- **الخطابة القضائية**
- **الخطابة العسكرية**
- **الخطابة الاجتماعية**
- **الخطابة العلمية**
- **الخطابة الدينية أو الوعظية**

الأول: الخطابة السياسية

هي الخُطَبُ التي تدور حول الشؤون العامة للدولة، فتشمل الخُطَبُ التي تلقى في البرلمان وفي المجتمعات الانتخابية والأندية الحزبية والمؤتمرات الدولية السياسية، سواء تعلقت بأمور خارجية، كالمعاهدات والحرب والسلام أو أمور داخلية كالتعليم والاقتصاد والزراعة والتشريع ونظام الحكم[٤]. وأهمية الخطابة السياسية ترجع إلى دورها الكبير في الدولة، لأن عليها مدار حياة الأمة ورقيها مَادِيًا وأدبيًا في الحرب والسلم وتكون في الدول الدستورية الحرة، سواء أكانت جمهورية يديرها نواب الشعب حكومة برلمانية، أم ملكية يخضع ملكها للدستور، وهي من أصعب أنواع الخطابة لأن حركات الأمة نتيجة مد وجزر منشؤه سيطرة الأفراد على الجمهور أو الجمهور على الأفراد[٥].

---

(٣) ابن رشد، المرجع السابق، ص٢٩-٣٠ بتصرف.

(٤) الدكتور أحمد محمد الخوفي، المرجع السابق، ص٦٧.

(٥) الدكتور عبد القادر سيد عبد الرؤوف، أضواء على الخطابة الإسلامية، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م،

وتنوعت الخطابة السياسية بناء على أهداف التجمع الإنساني إلى ما يأتي:

١) **الخطب الجماهيرية**: وهي الخطب التي توجه إلى جماهير الشعب بقصدحملهم على عملٍ أو إقناعهم بفكرةٍ، ويكون المتكلّم فيها رئيس الدولة أو أحد الوزراء أو زعيم الحزب أو مرشح في الانتخابات الشعبية.

٢) **خطب الهيئات**: وهي الخطب التي تلقى في النوادى وفي المؤتمرات المحلية والمؤتمرات العالمية[٦].

٣) **الخطب الرئاسية**: وهي خطب من الحاكم إلى الشعب لتوضيح رأي أوبيان أمر أو إصدار مرسوم.

٤) **الخطب النيابية**: وتشمل خطب النواب في السلطة التشريعية في العصر الحديث وتكون إما لبيان أمر أو اعتراض على قرار أو اقتراح أو استجواب أو تأييد أو مناقشة فكرة، كما تشتمل على خطب الوزراء والسلطة التنفيذية والردود على المقترحات والاستفسارات والاستجوابات وما إلى ذلك[٧].

الثاني: الخطابة القضائية

هي الخطب التي تلقى في المحاكم في أمر ما، وهي تختلف باختلاف المحاكم التي تلقى بها، فقد تكون في أمر جناية أو أمر مدني أو حالة من الأحوال الشخصية، وموقف الخطيب المحامي أو وكيل النيابة يختلف باختلاف القضية التي يتكلم فيها من حيث نوعها وأهميتها والأحداث التي بُنيتْ عليها[٨].

وقال الدكتور عبد القادر سيد عبد الرؤوف: هي الخطب التي يلقيها رجال المحاماة أمام المحاكم القضائية أهلية كانت أم شرعية أو المجالس الحسبية لمساعدة العدالة على

---

(٦) الدكتور أحمد أحمد غلوش، المرجع السابق، ص١٠٢.

(٧) الدكتور توفيق الواعي، المرجع السابق، ص٤.

(٨) الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة واعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٩٩م، ص٨٦.

القصاص من الجاني وتبرئة البريئ، وكذا ما يلقيه رجال النيابة أمام القضاء لإدانة الجناة[٩]. إذا كانت الغاية منها، هي تمييز الحق من الباطل والفصل في المنازعات ومساعدة العدالة وإدانة الجاني وتبرئة المتهم البريئ وحماية المجتمع من الجريمة.

من مجالات الخطابة القضائيـــة:

١) المرافعات النيابيـــة.

٢) مرافعات المحاماة عن الخصـــوم.

أولاً: المرافعات النيابيـــة

يتولى وكيل النيابة التحقيق في القضايا المخالفة للقانون وتتعلق بالنظام العام ومنها الجنايات، حيث يقدم وكيل النيابة الأدلة المثبتة للدعوى على المدعى عليه، ثم يحيلها إلى المحكمة، ويقدم أمام المحكمة فيتكلم في القضية بما يشرح وجهة نظره في الدعوى وفي الجناية المرتكبة.

ثانياً: مرافعات المحامي

وهي عبارة عن الدفاع عن الجاني أو المجني عليه، فقد يكون موكلاً عن أي منهما وقد يكون كل واحد منهما له مَنْ يدافع عنه، والمحامي هو العليم بالقانون وصاحب الخبرة في تقييم الأعمال المخالفة للقانون والموافقة له وهو بهذا يريد أن يبرئ موكله من التهـــمة فينجيه من العقوبة أو يحاول أن يخفف عنه[١٠].

خصائص الخطب القضائية

١) تدور حول القانون وبنوده ومواده السابقة واللاحقة وصلة الوقائع بهذه المواد.

٢) تدور حول إثبات الحق أو شرح وجهة نظر الخصوم ودوافعهم وأحوالهم.

٣) تجنح إلى النواحي التأثيرية والعاطفية والمنطقية لمحاولة التأثير على القضاة وعلى المستمعين لتنتزع الرأفة والرحمة وتخفيف العقوبة أو البراءة.

---

(٩) الدكتور عبد القادر سيد عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص٣٥.

(١٠) الدكتور توفيق الواعي، المرجع السابق، ص ٥٨.

٤) لا تستعمل فيها الأساليب الرفيعة، ولكنها تميل إلى الأساليب السهلة وإلى الحجج، وقد تُستعمل فيها وسائل الإيضاح لتصوير موقف معين، يزيد القضية وضوحاً[١١].

الثالث: الخطابة العسكرية

هي الخطب التي تلقى في مناسبة مراسيم الجنود ورجال الجيش والتي تهدف إلى عرض البيانات العسكرية حول الحضور، والتي تتخذ رجال العسكر والأمن في حراسة البلاد والمحافظة على الاستقرار والأمن فيه، وكذلك الخطب التي يلقيها قواد الجيش على الجنود قبل الحرب يحضون فيه الجند على قتال الأعداء[١٢]. والغاية منها، تهدف إلى إنهاض هم الجنود وإذكاء نار الحماسة فيهم، وإثارة النخوة والحمية والإقدام وتهوين الموت وتحسين التضحية في سبيل الشرف والكرامة والمبدأ والهدف[١٣].

أهمية الخطابة العسكرية

الخطابة العسكرية لون مهم من ألوان الخطابة المختلفة التي تحتاجها الأمم والشعوب في ساعات الشدة وأوقات الاستعداد خاصة عند ملاقاة العدو، أو توقع ذلك والخطابة العسكرية مهمة جداً بالنسبة إلى الأمة الإسلامية خاصة، لأن الجهاد قد فرضه الله على كل مسلم فريضة لازمة حازمة لا مناص منها ولا مفرمعها، وقد توعَّد الله المخلفين والقاعدين بأفظع العقوبات، ورماهم بأبشع النعوت والصفات ووبخهم بالجبن والقعود، ونعى عليهم الضعف والتخلف وأعدَّلهم في الدنيا خزياً لا يرفعه إلا إذا جاهدوا وفي الآخرة عذاباً لا يكشفه إلا إذا صدقوا، وأقدموا واعتبر القعود والفراركبيرة من أعظم الكبائر وإحدى السبع الموبقات المهلكات. وليس هناك نظام في القديم أو في الحديث عني بشأن الدفاع

---

(١١) نفس المرجع، ص٦٠.

(١٢) الشيخ علي محفوظ، مذكرة الخطابة، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، ط٣، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م، ص٤١.

(١٣) نفس المرجع والصفحة.

والجندي واستنفار الأمة وحشد طاقاتها للجهاد مثل نظام الإسلام، وآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ شاهدة على ذلك وفيَّاضة بكل هذه المعاني وداعية بأفصح العبارة وأوضح أسلوب إلى الجهاد والقتال والجندية وحسن الاستعداد وحشد العدة وتقوية وسائل الدفاع والكفاح بكل أشكالها وأنواعها، بريَّةً كانت أم بحريةً، جويةً كانت أم أرضية، وفي كل الأحوال والملابسات، ولهذا عاشت الأمة الإسلامية كريمة عزيزة تحمى الحق وتدافع عنه وترفع رايته وتحمل رسالة الله لتبليغها للناس غير هيَّابة أوجبانة، وانطلق خطباؤها وقادة جيوشها يحثون على الجهاد ويحضون الناس على الموتة الشريفة والشهادة العظيمة والحياة الباقية والجنة الخالدة.

ولهذا تبرز أهمية الخطابة العسكرية في إذكاء روح الجهاد والكفاح في الأمة وفي الحث على أداء فريضةٍ من الفرائض واجبة التنفيذ وفي المحافظة على عزة الأمة، وما الوهن الذي أصاب الأمة إلا بسبب حب الدنيا وكراهية الموت، وأن الأمة التي تحسن صناعة الموت وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة تهب لها الحياة الكريمة العزيزة في الدنيا والنعيم الباقي في الآخرة[١٤].

صفات الخطبة العسكرية وخواصها

للخطبة العسكرية صفات تتميز بها عن غيرها من الخطب الأخرى منها:

١) أن تكون موجزة بقدر المستطاع مراعاة للمقام الذي تقال فيه، فهي في حاجة إلى قليل الكلام وكثير الفعل.
٢) أن يلقيها الخطيب بحماسٍ شديدٍ فيظهر هذا على ملامحه وصوته وإشارته ونظراته ليخرجها متجسدة تُثيرُ في نفوس الجند الحماسة والقوة والاندفاع.
٣) أن تكون الخطبة في غاية الوضوح بحيث لا يخفى على أحد منها شيء ويدركها الجند بسهولة ويسر.

---

(١٤) الدكتور توفيق الواعي، المرجع السابق، ص٦٣-٦٤.

٤) وأهم من ذلك رسوخ العقيدة الإيمانية في قلوب الجنود حتى يزودوا عن حياضهم بعزمٍ وإخلاصٍ لأن النصر من عند الله[١٥].

وأما خواصها فهي كالآتـــي:

١) بيان شرف الغرض الذي من أجله يحاربون ويتقدمون إلى مواطن العز والشرف والكرامـــة.

٢) بيان النتائج والآثار الطيبة للثبات وبذل النفس والنفيس فداءً للوطن، فإما نصر وغنيمة وإما شهادة وجنة.

٣) توضيح أن القائد ما هو إلا واحد من الجيش يصيبه ما يصيبهم وأن عمله وقوله في ميادين القتال مطابق تماماً لما يقوله للجند، لا يضع نفسه في البرج العاجي وليس له من هم إلا الجعجعة والأقوال الرنانة الحماسية، ثم يتخاذل إذا جدّ الجدّ أو يدفع غيره، ثم هو بعد ذلك يضن بنفسه فيجبن ويتواري بعيداً عن الساحة[١٦].

الرا بع: الخطابة الاجتماعية

المقصود بالخطب الاجتماعية تلك التي تلقى في موضوع معين يهم المجتمع، وتحض على فعل شيء يفيد الناس أو يوجههم إلى وجهة معينة فيها الخير لهم والنفع والسعادة[١٧].

وعرَّفها الدكتور أحمد أحمد غلوش: بأنها الخطب التي تلقى في المحافل والمجالس لغرض من الأغراض التي لها ارتباط بالنشاط الإنساني، كتكريم شخص وتهنئة في مناسبات سعيدة، وتعزية في وفاة، وتبـــريك زواج وإصـــلاح ذات البـــيـــن[١٨].

---

(١٥) الدكتور محمد عقيل المهدلي، المرجع السابق، ص٨٣.

(١٦) الدكتور عبد القادر سيد عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص٤٢-٤٣.

(١٧) الدكتور توفيق الواعي، المرجع السابق، ص٦٨.

(١٨) الدكتور أحمد أحمد غلوش، المرجع السابق، ص١١٥.

وعرَّفها الدكتور أحمد محمد الحوفي بأنها الخطب التي تلقى في المحافل للتكريم، أو تأبين، أو في تهنئة بنعمة خاصة، أو عامة، أو في علاج مشاكل اجتماعية[١٩]. أما الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، فيصف الخطابة الاجتماعية بأنها: تلك الخطبة التي تلقى في موضوع يهم المجتمع وتعود إليه ببعض الفوائد. والخطابة الحفلية: بأنها ما تلقى في حفلات التكريم لبعض الأشخاص، وقد تكون بسبب انتقال موظف كبير من عمل إلى آخر أو من بلد لآخر، أو سبب تقاعده أو قيام بعملٍ خطيرٍ أو استقباله قادماً من سفر أو وافداً كضيفٍ وهكذا، ويدخل في خطب المحافل تكريم الموتى بإحياء ذكراهم[٢٠].

وإذا نظرنا إلى هذه التعريفات نجد أن الخطب الاجتماعية لها اتجاهات متعددة وتسميات مختلفة حسب المناسبات التي ألقيت فيها، وتشمل كل أوجه الأنشطة الاجتماعية في المجتمع منها:

أولاً: خطب المشروعات والمرافق

تلك الخطب التي تحث الناس على إنشاء المدارس وإنشاء دور لتحفيظ القرآن، وإنشاء مكتبات عامة ثقافية إسلامية، أو يدعو الخطيب إلى شق ترعة أو إقامة جسر أو يدعو شخص في مجتمع ما لإنشاء دار أمومة تساعد المرأة الموظفة، أو مدرسة لتربية الحاضنات، وتدريبهن، أو إنشاء دار لرعاية المسنين أو إنشاء نادٍ رياضي يشغل وقت الشباب ويربي أجسامهم وغرائزهم أو تكوين شركة لإنتاج شيء يرى أن المجتمع في حاجة إليه أو لزراعة رقعة من الأرض[٢١].

ثانياً: خطب التهاني والمباركة

هي تلك الخطب التي تلقى في المناسبات السعيدة، وذلك بالمشاركة في أفراحهم وما يهمهم، فللتهاني بالعيد مثلاً مجال وللتهاني بالزواج مجال، وكذلك النجاح في الامتحان أو

---

(١٩) الدكتور أحمد محمد الحوفي، المرجع السابق، ص٨٩.

(٢٠) الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، المرجع السابق، ص٩١-٩٢.

(٢١) نفس المرجع، ص٩٤.

في الحصول على العمل، وقدوم مولود وتكريم شخص ناجح في مهمة كبيرة أو قادم من سفر أو مسافر إلى مكان آخر أو ضيف كريم، أو مدح وشكر لشخص قدَّم مساعدات جليلة لدينه ولبلده وغير ذلك من المناسبات السعيدة في الحياة التي حث الشرع بالمباركة وتقديم التهاني عليها.

ثالثاً: خطب التأبين والرثاء

تلك الخطب التي تلقى في الحالات الحزينة، منها: وفاة شخص، ألقيت فيه خطبة تأبين أو تعزية للأسرة التي أصابتها مصيبة، أو خسارة في تجارة، أو فشل في المشروعات التي تؤدي إلى إفلاس صاحبها وغير ذلك.

وهناك أنواع أخرى كثيرة من الخطب الاجتماعية منها ما ذكره الدكتور توفيق الواعي في كتابه الخطابة وإعداد الدعاة فيما يلي:

١) وداع المسؤول السابق أو استقبال المسؤول الجديد.
٢) الدعوة إلى المحافظة على النظافة والوقاية الصحية.
٣) الدعوة إلى محو الأمية وتعلم القرآءة والكتابة للكبار والصغار.
٤) المساهمة في المشروعات العامة كإقامة جمعيات تعاونية ومهنية.
٥) إقامة المصانع وتعلم الحِرَفِ والإقبال على التصنيع وتشجيع الصناعة الوطنية.
٦) إحياء الرجولة والفتوة في الشباب بالمعسكرات الكشفية.
٧) الإصلاح بين الناس والمحافظة على الودّ والمعروف بين الناس.
٨) الدعوة إلى التكافل الاجتماعي ومحاربة الفقر وإلى غيرذلك من الموضوعات الكبيرة التي تهم المجتمع ويساهم فيها الخطيب في بلده وأمته[٢٢].

---

(٢٢) الدكتور توفيق الواعي، المرجع السابق، ص٨٠ بتصرف.

الخامس: الخطابة العلمية

هي الخطبة التي يلقيها الباحث في الماجستير أو في الدكتوراة أمام لجنة المناقشة قبل مناقشة رسالته، أو يلقيها خطيب في عيد ميلاد الجامعة، أو يلقيها صاحب الدكتوراة للحصول على كرسي الأستاذية في الجامعة وهذا نوع من الخطابة العلمية الخاصة. أما العامة فقد عرَّفها الشيخ علي محفوظ: بأنها كلام علمي صناعة وبحثاً وتركيباً بسيطاً يقَرِّبُ منالَ الحقائق العلمية من الأذهان[٢٣]، والشيخ في تعريفه لا يخصص المكان الذي ألقيت فيه، المهم خطابة علمية يلقيها خطيب سواء كانت أمام لجنة المناقشة أو أمام الأساتذة، ومدرسي الجامعة للحصول على كرسي الأستاذية، أو في عيد ميلاد الجامعة أو أمام الطلبة في مادة علمية لمدة معينة. ولكن الدكتور محمد عقيل المهدلي، عدّ الخطبة التي ألقيت أمام الطلبة من الأستاذ الجامعي، نوع من المحاضرة، حيث يقول: "إن هذه الخطبة ليست إلا محاضرة يلقيها الأستاذ الجامعي في الجامعة أمام الطلبة والطالبات في مادة علمية لمدة معينة بصفة دائمة في العام الدراسي المعين. أما الخطبة العلمية عنده: فهي الخطبة التي يلقيها الباحث أمام اللجنة المخصصة لمناقشة رسالته علنًا أمام مجموعة من الحاضرين والحاضرات"[٢٤].

صفات الخطبة العلمية

١) أن تكون واضحة العبارة والمعاني.
٢) أن تكون شاملة لجميع العناصر الموجودة في الرسالة.
٣) أَنْ تقدِّمَ صورةً حقيقيةً عن الرسالة ليست فيها مبالغة.
٤) أن تُشيرَ إلى أن هذه الرسالة قدَّمَتْ جديداً في مجال تخصصها، لذلك فهي جديرة بأن تحظى باهتمام الباحث، وينبغي على الخطيب أو صاحب الخطبة العلمية أن يقّدمَ خطبته إلى لجنة المناقشة والحاضرين والحاضرات بصورة واضحة يعِّبر عما في خطبته بكل ثقة وشجاعة أدبية مع مراعاة الآداب الفاضلة أثناء

---

(٢٣) الشيخ علي محفوظ، المرجع السابق، ص٦٠ بتصرف.

(٢٤) الدكتور محمد عقيل المهدلي، المرجع السابق، ص٨٦.

الإلقاء وخاصة أمام اللجنة المكوَّنة من كبار الباحثين وأساتذة الجامعات، أصحاب التخصصات والمؤلَّفات[٢٥].

السادس: الخطابة الوعظية (الدينية)

قسَّم علماء الخطابة الخطب حسب موضوعاتها المختلفة، وجعلوا من هذه الأقسام قسماً يختص بالناحية الدينية. والحقيقة التي لامراء فيها أن مجال الخطبة الإسلامية أوسع بكثير من مجال الخطبة في الديانات الأخرى، لأن الإسلام دين شامل لكل جوانب الحياة، وكل عمل صالح أيا كان نوعه. فالإسلام يأمر بالخير وينهي عن الشر ويدخل في مجالات الحياة ليصلحها وهذا مما وسَّعَ مجالات الخطبة الإسلامية، ولذلك يرى بعض الباحثين، أن القسم الذي يختص بالناحية الدينية يسميه بالخطبة الوعظية وليس بالدينية، كما اختاره الدكتور أحمد أحمد غلوش لأن الإسلام دين يشمل كل جوانب الحياة عسكرية كانت أو قضائية وغيرها.

والخطب في هذه الجوانب دينية بالضرورة، ومن هنا تُعَدُّ الخطابةُ الوعظيةُ من الخطابة الدينية[٢٦]. وكذلك الدكتور عبد الغفار عزيز، فإنه لا يرى، لهذا التقسيمَ وهو الخطابة الدينية أهميةً فقال: فأنا شخصياً لا أرتضي هذا التقسيم، لأني أجد أنَّ هناك تداخلاً كبيراً بين هذه الأقسام. وأرى أن اعتماد العلماء لقسم مخصوص من بين هذه الأقسام أسموه الخطابة الوعظية أو الدينية مما لا أقبله على أساس؛ أن الأنواع الأخرى كلها لا يمكن فصلها بالكامل عن الدين. وأضاف قائلاً، فإني أرى أنها تقسيمات لا معنى لها، فإن الدين هو الحياة بجميع جوانبها السياسية والقضائية والعسكرية، والمفروض فيمَنْ يتحدثون في السياسة أن يبنوا كل أحكامهم وأفكارهم السياسية وقواعد حكمهم وأوامرهم ونواهيهم على الدين، ومثل ذلك أيضاً يقال على بقية الأقسام الأخرى[٢٧].

---

(٢٥) الدكتور محمد عقيل المهدلي، المرجع السابق، ص٨٧.

(٢٦) الدكتور أحمد أحمد غلوش، المرجع السابق، ص٨٠.

(٢٧) الدكتور عبد الغفار عزيز، الخطابة الدينية بين النظرية والتطبيق، مؤسسة الوفاء للطباعة، القاهرة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص١٨٣-١٨٤.

وإذا كان علماء الخطابة قد جعلوا خصائص لكل قسم من هذه الأقسام ومزايا خاصة يتميز بها كل نوع عن الآخر، فإننا باختصار نقول: إن أهم ما يجب أن تشتمل عليه هذه الأنواع أي الخطب التي يغلب عليها طابع معين سياسي أو قضائي أو عسكري أن تجعل الدين أساس فكرها ومحور الحديث فيها، بل على الخطيب الديني أن يرى أن كلامه في مثل هذه النواحي من قبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أيضاً، كما أنه جزء من العقيدة والإيمان، عليه أن يعلمه الناس كما يعلمهم الصلاة والسلام وغيرهما من الفرائض[٢٨]. ويرى البعض الآخر تسمية هذه الخطابة بالخطابة الدينية، مثل الدكتور عبد الجليل عبده شلبي حيث إنها تشمل جميع الموضوعات الدينية التي يتحدث عنها الخطيب في يوم الجمعة والأعياد ويوم الحج الأكبر وعند صلاة الاستسقاء، والخطب التي تلقى في المجتمعات الدينية أيا كانت، ففي الجمعيات الدينية وسرادقات العزاء ومجالس الصلح[٢٩].

وذهب إلى مثل هذا القول في تعريفه للخطابة الدينية، الدكتور عبد القادر سيد عبد الرؤوف فقال: الخطابة الدينية: إما أن تكون خطبة لصلاة الجمعة أو العيدين أو في الحج، فهي خطب منبرية، وإما أن تكون في مجتمع يراد تبصيره بشأن ديني وإرشاده إلى مافيه سعادته دنيا وأخري، فهي خطبة عامة[٣٠].

أما الدكتور توفيق الواعي فيرى أن مراد أصحاب التقسيم على ما يبدو بالخطبة الدينية، هي الخطبة التي تجنح إلى الترغيب والترهيب، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في السلوكيات أو الرقائق والوعظ، وهذا ليس وحده بالأمر الهين، لما فيه من إصلاح الفرد والجماعات ولما فيه من غذاء للأرواح والنفوس والقلوب. وكما تدخل في الخطبة الدينية، الخطبة للدعوة إلى العقيدة الإسلامية والرسالة المحمدية والالتزام بها والسير على منوالها وبيان ما في الرسالة من جمال وسعادة ونفع واستقرار وهناء واستقامة، تكون في وسط

---

(٢٨) نفس المرجع.

(٢٩) الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، المرجع السابق، ص١٠٨ بتصرف.

(٣٠) الدكتور عبد القادر سيد عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص٥١.

المسلمين لحثهم على تنفيذ المنهج والاستقامة عليه، وفي وسط غير المسلمين لدعوتهم إلى الإسلام وإلى عقيدته ورسالته[٣١].

أهمية الخطابة الدينية أو الوعظية

ترجع أهمية الخطابة الدينية أو الوعظية إلى ما يأتي:

١) الدعوة إلى الإسلام وإلى تعاليمه ومبادئه وإلى سيادته في الأرض لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

٢) الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإلى إنشاء المجتمع الذي يمثّل تعاليم الإسلام حيةً عمليةً واقعيةً في دنيا الناس.

٣) تغذية الروح وطرح الجفاف النفسي والذهني الذي يُنشيء القلق والحيرة والانهيار وتخفيف غلواء المادية وشرورها وسيطرتها على الإنسان في الحياة.

٤) تغذية الشعور وإثارة الحماس وبعث الهمم حتى تستطيع الإنسانية أن تحقق أشواقها ورغباتها في هذه الحياة.

٥) معرفة الحقيقة وتبصير الناس بالحياة الباقية التي يكون فيها الثواب والنعيم الحقيقي ودلالتهم إلى الفوز الأفضل والنعيم الدائم.

٦) معيَّةُ اللهِ ضرورة لا غنى عنها لإصلاح الجماعات وتيسير أزمة أمور الأمم، حيث إن الأمم لا يقوم لها شأن بغير هدايته ولا تستقر إلا بقوته، لأن الأديان تهذبُ العالمَ والجاهلَ وذا العقل القوي وصاحب العقل الضعيف، فهدايتها عامة وشاملة لا تخص فريقاً دون فريق، بل إن الجماعات مهما أُوتيتْ من علمٍ أو فنٍ وتقدُّم، ومهما بلغتْ ثقافتها ومعارفها يستولي على مشاعرها حقيقة الدين، لأن ذلك فطرة الله التي فطر الناس عليها.

---

(٣١) الدكتور توفيق الواعي، المرجع السابق، ص٤٠-٤١ بتصرف.

٧) الدين الإسلامي في عمومه هو قانون أخلاقي للفرد وللجماعة وللأمة وللإنسان، أيا كان في كل زمان ومكان، فهو يحكم على أفعال الإنسان الإرادية الاختيارية بالخير والشر بالقبول أو الرفض بالحسن والقبيح[٣٢].

خصائص الخطابة الوعظية (الدينية)

١) الاستهلال بحمد الله سبحانه وتعالى والشهادتين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين.

٢) مراعاة مقتضى الحال وواقعية المجتمع.

٣) الارتباط بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

٤) الإعداد الدقيق: تحتاج الخطبة الوعظية إلى كثير من الإعداد حتى تأتي مناسبة لمقامها مطابقة لأدلتها من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وهي أكثر أنواع الخطب حاجة إلى العناية والتجهيز.

٥) الارتباط بالعقل والوجدان.

٦) الدعوة إلى الخير المطلق[٣٣].

إعادة الخطابة الوعظية إلى دورها الفعال ومكانتها في الصدارة تكون بالأمور الآتية:

١) أن يعود العلماء إلى الخطابة كما كان أسلافهم، بجانب أعمالهم الإدارية أو الجامعية إذا كانوا موظفين أو أساتذة في الجامعات.

٢) أن تُعيِّنَ إدارة الشؤون الدينية والدعوة الإسلامية رجال الخطابة من المتخرجين في كلية الدعوة، أو كليات أخرى في الدراسات الإسلامية.

٣) وضع الخطة المبنية على الدراسات الجادة المكتبية والميدانية للدعوة، وتنفيذها والإشراف على التنفيذ وإعادة النظر بصفة دائمة في هذه الخطة وتنفيذها ونتاجها ودراسة مشكلاتها ووضع الحلول لها.

---

(٣٢) المرجع السابق، ص٤٢-٤٤ بتصرف.

(٣٣) الدكتور محمد عقيل المهدلي، المرجع السابق، ٩١-٩٣ بتصرف.

٤) إنشاء كليات الدعوة الإسلامية في الجامعات الإسلامية التي لم تنشأ فيها هذه الكليات أو فتح قسم الدعوة في إحدى الكليات.

٥) الاهتمام البالغ بالقائمين بالخطابة من قبل الحكومة وخاصة إدارة الشؤون الدينية، وتقديم التشجيعات الخاصة للمرشحين لهذا العمل بصفة دائمة بالشروط التي وُضِعَتْ من قبل الحكومة والإدارة المذكورة[٣٤].

ولقد واجهت الدعوة الإسلامية مشكلات في هذا العصر من المسلمين أنفسهم ومن غير هم، وتحتاج هذه المشكلات إلى حلول عاجلة وآجلة من رجال متخصصين في هذا المجال، وهو الدعوة الإسلامية.

فبناءً على ذلك يجب على جميع المسؤولين في الدعوة الإسلامية، المبادرة إلى إعداد الرجال المتخصصين في هذا العمل، لأن المسلمين في العالم الإسلامي في أشد حاجة إلى رجال الدعوة الذين يقودونهم إلى المفاهيم الصحيحة عن تعاليم الإسلام في العقيدة والشريعة والأخلاق والمعاملات.

---

(٣٤) المرجع السابق، ص٩٥.

المبحث الثالث
أهمية الخطابة للدعوة الإسلامية وصلتها بالعلوم الأخرى

لقد أوجب الله سبحانه وتعالى تبليغ الدعوة على رسوله ﷺ وعلى الأمة الإسلامية من بعده، فقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾[1]. وقال أيضاً: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[2]. وقال أيضاً: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[3].

فمن هذه الآيات البينات نرى أن تبليغ الدعوة الإسلامية واجب. وقد بلَّغها ﷺ تنفيذاً لأمر الله له أتم تبليغ وأكمله، ورسم المنهج السليم لأمته في تبليغ الدعوة، كما بيَّنه الحق سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ بقوله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[4].

واختيار الرسول ﷺ من يصلح للبلاغ باتباع الوسائل التي تساعد على نشر الدعوة الإسلامية كإرسال الكتب والرسائل إلى الملوك والأمراء وغير ذلك من وسائل التبليغ التي أضفى عليها العصر الحديث وسائل أكثر، حيث أصبح الكتاب والمسرح والراديو والسينما والشبكة العالمية (إنترنيت) وغيرها وسائل للبلاغ، إلا أن الخطابة ما زالت حافظة لمكانتها بين الوسائل الأخرى وما زالت تؤدى دورها على المعنى المقصود منها.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

فالخطابة في الإسلام هي المظهر المتحركة فيه الحياة، وتجعل هذا الدين يزحف من قلب إلى قلب، ويثب من فكر إلى فكر، وينتقل مع الزمان من جيل إلى آخر، ومع المكان من قطر إلى قطر[٥]. والخطبة التي يغلب عليها صفة إثارة العواطف والمشاعر وشأنها الاسترسال مع ما يحضرمن الخواطر[٦]. وليس أجدر من الخطابة في استمالة الوجدان وتهييج الشعور وتحقيق الانفعال إلى الاندفاع والعمل، ولأهمية الخطابة للدعوة الإسلامية كان لها الأثر الرئيسي في صدر الإسلام، حيث خطب النبي ﷺ حين أمره ربه بالجهر بالدعوة، فوقف النبي ﷺ على الصفا ينادي القبائل من قريش يستحثهم ويستميلهم لدعوته، وكذلك خطب في الوفود والجيوش والمناسبات[٧].

وكان عليه الصلاة والسلام يكلّف القادرَ على الخطابة أن يقوم بواجب تبليغ الدعوة تجاه الغير يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، وقد ترك ذلك سُنَّةً متبعةً بعده. فعلى الأمة أن تكلِّفَ مِن بينها مَنْ يتفقه في دينها ويحفظ عليها شريعتها حتى يستطيع هؤلآء المتخصصون أن يحافظوا على قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فذلك هو الوعظ الديني بعينه. فقد اصطلح على تسميته بالخطابة الدينية، وبالوعظ الديني وتسمية القائمين بها بالوعّاظ، كما اصطلح على تسمية الوعظ الديني، بأنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٨].

وقد قال في وصفه الإمام الغزالي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، والمهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة، وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة،

---

(٥) الشيخ محمد الغزالي، مع الله دراسة في الدعوة والدعاة، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ص٣٦.

(٦) الدكتور البهي الخولي، تذكرة الدعاة، دار مرجان للطباعة، القاهرة، ص٢٦٥.

(٧) الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٠م، ص٩٧.

(٨) الإمام محمد أبو زهرة، الخطابة، دار الفكر العربي، القاهرة، ص١٨٨.

واستشرى الفساد واتسع الخرق، وخربت البلاد وهلك العباد ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد[٩].

يقول الشيخ محمد عبده في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[١٠]. والمخاطب بها جماعة من المؤمنين فهم المكلفون أن ينتخبوا منهم أمة تقوم بهذه الفريضة. فهنا فريضتان، إحداهما على جميع المسلمين، والثانية على الأمة التي يختارونها للدعوة. والمراد يكون المؤمنون كافة مخاطبين بتكوين هذه الأمة لهذا العمل هو أن يكون لكل شخص منهم إرادة وعمل في إيجادها وإسعادها ومراقبة سيرها بحسب الاستطاعة حتى إذا رأو منها خطأ أو انحرافًا أرجعوها إلى الصواب[١١]، من هنا كانت أهمية الخطابة للدعوة الإسلامية حتى جعلها الإسلام شعيرة من شعائره.

ولهذا نستطيع أن نوجز أهميتها فيما يأتي:

١) الخطابة في الدعوة إلى الله واجبة، لأنها لازمة لتبليغ الدعوة وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

٢) الخطابة للداعية كالمصباح ينير الطريق ويكشف الدرب ويهدي الضال.

٣) الخطابة بالنسبة إلى الداعية سلاح يدافع به عن دعوته، يرد به كيد الكائدين وجحود الجاحدين وعنت الضالين.

٤) الخطابة وسيلة لصياغة المبادئ وإظهار جلالها ورفعة شأنها، كما أنها سبب سيادة الحق. والخطابة وسيلة الداعية قد تكون وحيدة في بعض الأحيان لإظهار الحق وخدمة مبادئه.

---

(٩) الشيخ الإمام أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، الطبعة المعرفة، بيروت، ص٣٠٦.

(١٠) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(١١) الشيخ محمد عبده، تفسير المنار، جـ١.

٥) الخطابة هي صلب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لصيانة جسد الأمة من الهدم والتحلل، كما أنها لازمة لطرد الأهواء وإزالة الشياطين وعلاج الأمراض الدخيلة والمتوطنة.

٦) الخطابة لازمة لسياسة الأمم والشعوب. فإن ولاة الأمر يعنون باطلاع المسلمين على سياستهم وسنة حكمهم وينتهزون الجمع والأعياد والمناسبات المختلفة كذلك تكون وسيلة لإخماد الفتن وبعث المودة، كما أنها لازمة لإعداد الجيوش ودفعها إلى الجهاد ورفع راية الحق، وقد قال الله وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ﴾[١٢]. فكانت الخطابة ذخيرة جيدة، يحتفظ بها القواد دائماً ليمدوا بها الجند ويوضحوا بها الهدف ويشحذوا بها العزم[١٣]. قال أحد قوّاد الألمان في ذلك العصر: إنه مع التقدم العلمي والفني في العصر الحديث ترى العنصر المعنوي يبرهن على أنه في الحاضر، كما كان في الغابر، العامل الحاسم في الحرب؛ فالجيش من غير روح تدفعه كالسيف من غير يد تحمله لا يريق دمًا ولا يدفع عاديةً ولا يغذي الروح إلا الخطابة[١٤].

الخطابة وصلتها بالعلوم الأخرى

إنَّ لعلم الخطابة صلة بسائر العلوم يستمد منها ويعتمد عليها، لأن هدف الخطابة الإقناع والاستمالة، ولا يستطيع ذلك إلا إذا أحاطت بالأدلة وأنواعها والبشر ونفوسهم والمجتمع وطريقة تعبيره. ولذلك فإن الخطابة تستفيد من غيرها من العلوم لكي تفيد الغير وتحقق الهدف المنشود ويصل الخطيب إلى المبتغى من كلامه.

---

(١٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٥.

(١٣) الدكتور توفيق الواعي، المرجع السابق، ص٣٠-٣١ بتصرف.

(١٤) الإمام محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص٢٥٦.

ومن أهم العلوم التي لها صلة وثيقة بعلم الخطابة هي:

أولاً: العلوم الإنسانية

١) علم المنطق

إنَّ لعلم الخطابة صلة وثيقة بالمنطق، من حيث إن المنطق خادم له، ومن حيث إن كثيراً من قوانين الخطابة يعتمد على المنطق في مبادئه، ذلك لأن الهدف من الخطابة الإقناع والاستمالة ومحاولة التأثير في النفوس، وحمل المستمعين على ما يراد منهم بترغيبهم وإقناعهم، ولا يكون ذلك إلا إذا أحاطت الخطابة بالأدلة وأنواعها، ولذلك اعتبرها المناطقة قياساً مؤلَّفاً من مقدمات مقبولة لصدورها مِمَّنْ يعتمد فيه لاختصصاته بمزيد عقل أو تدين كقوله "العمل الصالح يوجب الفـــوز وكل ما كان ذلك لا ينـــبغي إهماله"[١٥].

وعلى هذا، فعلم الخطابة على صلة وثيقة بالمنطق من حيث إن المنطق خادم له، فالمنطق لا يبحث عن القوانين التي تعصم عن الخطأ فقط بل يستنبط أيضاً ما يرشد الذهن إلى الأخذ بالقوانين التي تساعد الخطيب على آداء مهمته، وتمد قوانين الخطابة بمناحي التأثير وطرق الإقناع، والمنطق ألزم العلوم للخطابة، وقد عدَّهما الأقدمون علماً واحداً وعدَّهما المتأخرون أخوَيْنِ متحدي النسب[١٦].

٢) علم النفس

إن علم النفس من العلوم الهامة للخطابة ولا يمكن أن يستغني القائم بالخطابة عن دراسة علم النفس. فالخطابة تهدف أساساً إلى التأثير في نفسية المستمعين وحملهم على ما يراد، ولا يستطيع الخطيب ذلك إلا بعد دراسة نفسية الجمهور الذي يخاطبه، ومعرفة سلوكه وخصائصه، والعوامل التي تُؤثِّرُ فيه والدوافع التي تحركه، وتلك كلها من موضوعات وخصائص علم النفس. فإذا درس الخطيب هذه الخصائص النفسية استطاع أنْ

---

(١٥) الشيخ علي محفوظ، ص٦.

(١٦) الشيخ الإمام محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص١٠.

يستميلَ قلوبَ الناسِ نحوه وأَنْ يصلَ إلى غرضه ومبتغاه، وأنْ يقودَ الجماعة إلى ما يريد، ولذلك كانت دراسة علم النفس بأنواعه المختلفة من الدراسات التي لا يستغني عنها القائمون بالخطابة.

٣) علم الاجتماع

إنَّ الخطابةَ لا تستغني عن علم الاجتماع، لأن الغاية الأولى لهذا العلم هي: دراسة الظواهر أو النظم الاجتماعية والوقائع، دراسة تحليلية وصفية لاكتشاف القواعد والقوانين التي تخضع لها. وعلم الاجتماع بفروعه المختلفة يفتح الطرق أمام المصلحين الاجتماعيين لكي يقوموا بما يريدون عمله من إصلاح على أساس علمي صحيح.

وبهذا نرى أَنَّ علم الاجتماع يفيد علم الخطابة كثيراً؛ فالمجتمع هو المقصود، بعملية التغيير والناس عادة جزء من هذا المجتمع وهم المستفيدون والمراد ترغيبهم وإقناعهم والتأثير فيهم، والخطيب الجيِّد هو الذي يهتم بحال الناس ويجعل ظاهرة من ظواهر المجتمع الفاسدة موضوعاً لخطبته فيتناولها بالإصلاح، ومن هنا يقول الفارابي: "إن الخطيب إذا أراد بلوغ غايته وحسن سياسة نفسه في أموره فليتوخَ طباع الناس وتلوُّن أخلاقهم وتباين أحوالهم"[١٧]. ويقول أفلاطون: "لكل أمر حقيقته ولكل زمان طريقته ولكل إنسان خليقته، فعامل الناس على وفق خلائقهم والتمس من الأمور خصائصها، وأجرِ مع الزمان على طرائقه"[١٨].

فمن الواجب إذن، أن تكون قوانين الخطابة متصلة بقوانين الجماعات وناموسها مستمدة منها قوة. ومن مشاربها مسالك، وبهذا نرى قوة الاتصال بين علم الاجتماع وعلم الخطابة. ولا ينبغي على الخطيب أن يقتصر على المعرفة بتلك العلوم فقط، بل هناك من العلوم الإنسانية ما يحتاج إليها الخطيب، كدراسة التاريخ والجغرافية والأخلاق

---

(١٧) الدكتور أحمد أحمد غلوش، المرجع السابق، ص٧.

(١٨) الشيخ الإمام محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص١١.

والجمال وغير ذلك من العلوم الإنسانية التي ترتبط بالخطابة ارتباطاً وثيقاً. وأن الخطيب الناجح هو الذي يحيط بسائر العلوم الإنسانية ليتمكن من الإحاطة بفن مخاطبة الإنسان بشكل ناجح ومفيد.

ثانياً: العلوم الإسلامية

إذا كانت العلوم الانسانية تفيد علم الخطابة ويستفيد منها الخطيب في المجالات المتعددة، فإن العلوم الإسلامية تفيد علم الخطابة عامة والخطابة الدينية خاصة، ذلك لأن الخطيب في المجال الإسلامي لا بد أن يكون عالماً بأنواع المعارف الإسلامية المتعددة وذلك حتى يستطيع أن يؤدي رسالته بأمانة وإخلاص، ولن يستطيع ذلك إلا إذا كان عالماً بما يقول حافظاً للأدلة التي يحتاج إليها، وإلا فكيف يصف الدواء مَنْ لا يعرف الداء؟ وكيف يعلّم الناس علماً مَنْ يجهل العلم؟ أو كيف يُفتي الناسَ مَنْ ليس عنده استعداد للفتوى؟ إنَّ فاقد الشيء لا يُعطيه! ولا يستقيم الظل والعود أعوج! وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ﴾[19]. وقال: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[20].

ولذا، يجب على الخطيب وخاصة في المجال الديني أن يكون مُلِمًّا بالعلوم الإسلامية وخاصة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، لأنهما مصدران أساسيان من مصادر أحكام الشريعة والتشريع الإسلامي، والعلوم الإسلامية وكذلك معرفة الملل والنحل والأديان قديمها وحديثها سماوية كانت أو وضعية ومعرفة الأحكام الفقهية وقواعدها والتاريخ الإسلامي والفكر الإسلامي المعاصر، والقضايا المعاصرة إضافة إلى معرفة استعمال الاتصالات والمعلومات التكنولوجية الحديثة.

---

(١٩) سورة فاطر، الآية: ١٩-٢١.

(٢٠) سورة الزمر، الآية: ٩.

وبهذا، يستفيد علم الخطابة من كل العلوم الإنسانية منها وغير الإنسانية. والعلوم الإسلامية والثقافة الإسلامية عامة. فيأخذ الخطيب مِن كلٍّ على قدْرِ حاجته. فالخطابة الدينية تحتاج إلى مصادر غير التي تحتاجها الخطابة السياسية والقضائية. وهكذا نجد هذا العلم كالبستان واسع الجنان ويقتطف منه الجاني ما يحتاج إليه من الفواكه والزهور والريحان.

المبحث الرابع
نشأة الخطابة وتطورها

إذا نظرنا إلى الخطابة وجدناها فطرية في الإنسان وأنها موجودة بوجود الإنسان، حيث كان الخطاب هو وسيلة التخاطب والاتصال لبني البشر، وقديمة قدم الحضارات المتعددة، ولا يخلو منها، أي مجتمع من المجتمعات، التي حفظ التاريخ آثارها من أقدم العصور إلى يومنا هذا. فكان تأثير البلاغة في النفوس لا يخص أمة بعينها، ولا جيلاً بعينه، وقد أخبرنا الحق تبارك وتعالى عن عظيم نعمته على الإنسان في تقويم اللسان وتعليمه البيان، منذ خلقه فقال جل شأنه: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ﴾[1]. وبيَّنَ لنا الحق تبارك وتعالى، أنَّ صفة البيان كانت من الصفات اللازمة لرسل الله جميعاً، حيث قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾[2]. وكانت الخطابة من وظيفة الأنبياء والمرسلين، ووظيفة العلماء الأجلاء والملوك والرؤساء.

ولما كان الله تعالى قد فطر بعض الناس على قوة البيان وملكة التأثير، فاستطاعوا بها حمل غيرهم على ما أرادوا منهم، ورأى غيرهم ما ناله هؤلاء بسبب هذه الملكة، وأنهم لم ينالوا ماناله أصحابها حاولوا أن يبحثوا في الأسباب، فنظروا واختبروا ودققوا النظر والاختبار، ودوَّنوا نتيجة أبحاثهم ووسَّعوها[3].

وبدأت الكتابة في هذا العلم. فكان اليونان أول مَنْ شيَّد أركان علم الخطابة وأقام بنيانه وأول مَن كتب فيه ذلك لأن أهل (أثينا) قويت فيهم رغبةُ القولِ واشتدت فيهم

---

(١) سورة الرحمن، الآية: ١-٤.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ١٤.

(٣) الشيخ علي محفوظ، المرجع السابق، ص٣.

داعيته، وساعدت فطرتهم الخطابية على الامتياز في الخطابة بعد علم أصولها. وقد بلغت الخطابة في بلاد (اليونان) شأناً عظيماً. إذ بالخطابة تولى الخطباء قيادة الجيش والبلاد، فقد عُيِّنَ كليون قائداً ورأسَ ديموستين الخطيب حربَ فيليبَ، وأصبحت الخطابة سلعة رائجة وباباً من أبواب الرزق للخطباء[٤]. ولما كانت شريعة تلك البلاد لا تسوغ لمن كانت له قضية أن يرفعها بوكالة محام عام كما هو الحال عندنا، بل لا بد أن يتكلَّم صاحبُ القضية في قضيته. فمن ثم كان عليه أن يقصد إلى أحد الخطباء يلتمس منه تأليف خطاب له يحفظه ليتلوه في مجلس القضاء. وكثيراً ما كان بعض الخطباء يجوبون البلاد اليونانية ويتكلمون في موضوعات توجهها إليهم المخيلةُ، فتحتفل بذلك المحافل وتعقد الأندية والمؤتمرات.

وهكذا أصبحت الخطابة فنًّا من الفنون وبرز الخطباء في بلاد اليونان، وأخذوا يتسابقون ويتنافسون في هذا الميدان، حتى رأينا أنَّ مَنْ لم يكن قديراً على فنون القول يحاول أن يتعلم الخطابة. ولذا اتجه الناس إلى تعلُّم الخطابة، والتدريب عليها والتمرين على الإلقاء وتعويد اللسان النطق الصحيح والبيان الفصيح. لذلك أخذ العلماء يستنبطون قواعد الخطابة وقوانينها بملاحظة الخطباء وطرق تأثيرهم وأسباب فشل مَنْ يفشل منهم[٥]. ويعتبر السوفسطائيون[٦] أول من اتجه إلى استنباط تلك القواعد فكانوا يعلمون الشباب في أثينا الخطابة وبلاغة القول بعد أن وجدوا رغبتهم وميلهم إلى الاتجاه إلى هذا الفن،

---

(٤) الشيخ الإمام محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها وتاريخها، دار الفكر العربي، القاهرة، ص١١-١٢.

(٥) نفس المرجع، ص١٢ وما بعدها.

(٦) السوفسطائيون جماعة من مفكري اليونان ظهروا في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، وقد اشتق هذا الاسم من كلمة يونانية تدعي "سوفيست" معناها المعلم أو الحكيم، معلم الناس الحكمة في القول، ولكن هذا الاسم لحقه التحقير بالإهانة عندما أخذ السوفسطائيون يجادلون ويغالطون لا للوصول إلى الحقيقة، بل للتضليل على الناس، وأخذوا على هذا الأجر من الطلاب، ومن هنا صار اسم "سوفسطائي" معناه المسيء أو المضلل أو المبطل، وكلمة سفسطة معناها التمويه والتضليل. نقل عن كتاب دراسات في فن الخطابة، الدكتور السعيد محمد المقصود العجمي، دار التوفيقية للطباعة بالأزهر، القاهرة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص٢٥.

فكانوا يعلمونهم كيف يتغلبون على خصومهم، وأعدائهم، بالحق والباطل وكان هذا التعليم مقابل أجر يتقاضونه من المتعلمين.

وبعد السوفسطائيين جاء سقراط (٤٦٩-٣٩٩ قبل الميلاد)، فاستفاد من مناهج السوفسطائية ولكنه لم يتابعهم في نـــزعاتهم بل اتجه إلى البحث في الحكمة والمعرفة ودعا إلى دراسة النفس الإنسانية متخذاً لذلك شعاراً "اعرف نفسك بنفسك". ودعا إلى دراسة الخطابة والجدل. وكان سقراط يُؤْثِرُ التحدث إلى الشباب ويفضِّل الكلام معهم في أي مكان، وفي أي مجال ليصلح ما أفسده السوفسطائيون من شأنهم ويبصِّرهم بالحق والخير.

ثم جاء أفلاطون (٤٢٧-٣٤٧ قبل الميلاد)، فسار على طريقة أستاذه سقراط وكانت دروسه يتخللها كثير من المناقشات والجدل ووضع نظريته في المثل حيث كانت مؤلَّفاته عبارة عن محاورات تشبه إلى حدٍ كبيرٍ القصص التمثيلية وكان الغرض من ذلك الوصول إلى الحق، فهو في حواره وجدله يطلب الحقيقة العلمية ولا يناقش، ويجادل كالسوفسطائيين لشهوة الجدل والمناقشة، كما أنه وضع قوانين جمهوريته وفيها برز دور الخطباء في نشر الحق والخير وغرس الأخلاق الفاضلة[٧].

ثم جاء أرسطو (٣٨٥ قبل الميلاد) الذي عُرف بالمعلم الأول ووضع الأسس لعلوم كثيرة منها علم الخطابة، حيث أخرج أرسطو أول كتاب مدوَّن في الخطابة عرَّفها فيه كعلم وبيَّن أقسامها وفصَّل في أسلوبها وحدَّد جزئياتـــها وأشار إلى بعض الموضوعات التي تُبرزها الخطابة كما تكلَّم عن الخطيب ونبرته[٨]. ويُعَدُّ كتابُ أرسطو أول كتابٍ وُضِعَ في علم الخطابة. وقد تُرجِّم هذا الكتاب من اليونانية إلى العربية أكثر من مرة وترجمه بشر بن متى، ولخَّصه ابن رشد وشرحه في كتابٍ أسماه "تلخيص الخطابة" وأخذ عنه فلاسفة العرب كابن سينا والفارابي[٩].

---

(٧) الدكتور عوض الله حجازي، تاريخ الفلسفة اليونانية، القاهرة، ص١٠٩ وما بعدها بإيجاز.

(٨) الدكتور أحمد أحمد غلوش، قواعد الخطابة، مطبعة دار البيان، القاهرة، ص٢٥.

(٩) الشيخ علي محفوظ، المرجع السابق، ص٣.

وقد جاء بعد أرسطو عصرٌ نشطتْ فيه الخطابةُ عند الرومان نشاطها عند اليونان، حيث كان الخطباء كما يقول شارل: "يأتون إلى ساحات الاجتماع حيث تلتئم مجالس الأمة يخطبون ويكثرون من الحركات وسط دوي القوم ويعد شيشرون المولود عام ١٠٦ قبل الميلاد أعظم أولئك الخطباء، وهو الوحيد الذي بقيتْ بعضُ قطعٍ من خطبه وشملت مؤلّفاته ثمانية عشر مجلداً، نشرت عام ١٨١٣م، وفيها ثلاث مجلدات تحتوي على مقالات في البلاغة وستة مجلدات من الخطب التي كُتِبَتْ لإلقائها في السناتور أو المحاكم"[١٠].

وقد وصل تعلُّق الرومان بهذا الفن أن حصروا الرتبة العالية فيه أوقصروا الوصول إلى عضوية مجلس الشيوخ على الخطباء وحدهم، وكان الخطباء هم المحامون ومنهم يؤخذ القضاة. وكان الأغنياء ينفقون أموالهم من أجل أن يتقن أولادهم الخطابة. وبذلك كثر الخطباء في روما، ووجدت عدة مؤلّفات أخرى في علم الخطابة غير مؤلّفات شيشرون، فقد ألّف كونيتيليان (٤٢-٩٥م) كتاباً أسماه تهذيب الخطيب، وألّف لنجينوس الحمص (٢٤٠-٢٧٣م) كتاباً أسماه المقاق[١١].

ومما تقدَّم يتبيَّن لنا أن علم الخطابة قديم قدم الحضارات المتعددة والعريقة في القدم ولقد قلنا في السطور السابقة أنَّ الخطابة كانت معروفة ومزدهرة عند اليونان والرومان قبل الأمة العربية بزمن طويل. أما الخطابة في الأمة العربية في عصرها الجاهلي فكانت مزدهرة ومألوفة في حياتها، حيث إن حياة العرب تستدعي وجود هذا الفن حيث الخصومات والحروب ومحاولات إصلاح ذات البين، ثم يأتي في المقام الأول الخطابة من أجل التفاخر بالأحساب والأنساب، ثم خطب الحض على القتال أو على الأخذ بالثأر، وخطب الأملاك والإرشاد لنبذ ما عليه القوم من جهالة وضلالة وما يتعلقون به من عادات ونـــزعات غير حميدة، ثم خطب المحافل والوفود ثم الوصايا التي تُوجَّه من الرجل

---

(١٠) باور، الرومان، ترجمة عبد الرازق يسرى، ص٦٦ نقل عن كتاب الخطابة الدينية نظرياً وعلمياً، الدكتور محمد رجب الشتيوي، ص٤١.

(١١) الشيخ الإمام محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص٢٣.

إلى أهل بيته وعشيرته وذلك عند الموت[١٢]. وكان الجاهليون بحاجة إليها حيث كانوا يعيشون قبائل متفرقة كل قبيلة تخضع لحاكم قوي شديد الشكيمة وكان من طبيعتهم الثورة من أجل توافه الأمور وفي الوقت نفسه هو جواد كريم، يحب مكارم الأخلاق والتفاخر بها ثم التنازع المستمر يستدعي خطيباً بليغاً يثير الحماسة والنخوة فيهم، وكانت جل موضوعاتهم تقوم على إثارة الحرب ثم الصلح بين المتنازعين ثم التعصب لكل قبيلة، وإذا علمت أن للعرب دار ندوة يجتمعون فيها ويشاورون ويقرون ما يرونه صالحاً ويتبارى فيها المجيد للقول، وكانت دار الندوة منابر عامة، تُرَوَّجُ فيها بضاعةُ الكلامِ البليغِ، ومعيشة العرب في الصحراء أعطتهم صفاء في الذهن فكان ذلك من أعظم دواعي الخطابة، زد على ذلك وجود الحرية والحماسة والبلاغة تثيرها خواطرهم[١٣].

وكانت الخطابة في العصر الجاهلي هي من وحي تجاربهم ومشاهداتهم ولا تخلو من التمثيل وإيراد الحكم، ليؤثّر الخطيب في مستمعيه، واستمرت تلك الحالة التي تحيط بالعرب ويسود فيها جوّ من ازدهار الخطابة بعواملها المختلفة الدافعة إليها كما ذكرنا حتى يأتي عصر ظهور الإسلام على يد رسول الله ﷺ سيد البشر على الإطلاق ورحمةً للعالمين. بمجيء الإسلام وانتشاره، تعرضت الحياة العربية لانقلاب شامل في وحدة دينهم وجمع شمل قبائلهم، وكانت الخطابة في صدر الإسلام مظهر الحياة المتحركة، فكان نبي الإسلام يخطب الناس ليحرك قلوبهم، وليزحف الإسلام بتعاليمه من قطر إلى قطر، لأنها تنبثق من معاني القرآن وأحكامه وتشريعاته حيث هو الكتاب الهادي للأحياء، فلا شك أن الخطابة كانت وقود حركة الإحياء للمسلمين. فكان الإسلام نهضة كبرى استهدفت تغيير معالم الحياة وكل انقلاب إلى هذه النهضة لا يتم إلا بمخاطبة الجماهير والجماعات في المحافل. ودعا الرسول المسلمين إلى الجهاد لنشر الدعوة الإسلامية في الأمم المجاورة للعرب، فوجد

---

(١٢) الدكتور عزت السروجي، الخطابة وفن الإلقاء وصلتها بوسائل الإعلام، دار أبو مجدة للطباعة، القاهرة، ط١، ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦م، ص١٢.

(١٣) الدكتور عزت علي السروجي، المرجع السابق ، ص١٢، وانظر الخطابة للشيخ محمد أبو زهرة، ص٢٢١.

ضُرُبا آخر من الخطابة فكانت الغاية فيه الحث على الجهاد في سبيل الله تعالى. وازدهرت خطب الجهاد باتساع الفتوحات الإسلامية، وكان العمال في البلاد المفتوحة نيابة عن رسول الله ﷺ، يخطبون الناس ويبيِّنون لهم الخطة التي يسيرون عليها.

وأثَّرت الخطابة وأدَّت دورها في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ حيث الاختلاف فيمن يتولى الخلافة بعد رسول الله ﷺ، وازدادت في خلافة عثمان بن عفان ﷺ فكان على الخطيب تأييد حزبه ودعوة القوم إلى نصرته. فكانت هذه الأحداث عاملاً فعالاً في ازدهار الخطابة، زد على ذلك الحرية القولية التي جاء بها الإسلام وأعطاها للجميع، وكان الخلفاء الراشدون يطالبون الناس بمؤاخذتهم ومحاسبتهم إذا حادوا عن جادة الحق والعدالة. وهذه الروح خليقة بأن تنهض بالخطابة وتأخذ بيدها في طريق الرقي والازدهار[١٤]. وزد على ما سبق من حرية الشورى التي جاء بها القرآن الكريم، وطبقها الرسول الأمين صلوات الله وسلامه عليه.

والخطابة تُقوِّي المواقف الجادة، وهي في كل مواقفها تحتاج إلى الحرية التي تسمح للخطيب أن يفضي بذات نفسه ويعلن كل مافي صدره، فإذا كبتت الحرية ضعفت الخطابة، والعرب قد تمتعوا بالحرية والتشاور في أمورهم[١٥].

ولا شك أن حرية الفكر والرأي والقول في الأمة سبب هام من أسباب الرقي، فنمت الخطابة في الجاهلية وفي صدر الإسلام وكانت ركن السياسة والحكم والدين في العصر الأموي وصدر من العصر العباسي ثم خفتَ صوتُها، بعد أن تحوَّلت الخلافة إلى ملك تظله الحضارة، ثم استردت في العصور الحديثة مكانتها بعد أن سعت الشعوب للتحرر من قيود الطغيان والخروج من ظلمات الاستبداد[١٦].

---

(١٤) الدكتور عزت علي السروجي، المرجع السابق، ص١٧.

(١٥) الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، المرجع السابق، ص١٦٣.

(١٦) الدكتور عزت علي السروجي، نفس المرجع، ص١٨ نقلاً عن كتاب الخطابة في صدر الإسلام، الدكتور محمد طاهر درويش، ص٩.

والخطابة كما قلنا: لا تكون إلا بمعرفة قواعدها وأصولها المسمى بالخطابة النظرية العلمية وبالممارسة في أدائها عملياً المسمى بالخطابة الفنية التطبيقية. ولذلك سيكون بحثنا يدور حول تلك الموضوعات في الفصول التالية.

الفصل الثاني

أركان علم الخطابة

إنَّ علمَ الخطابةِ قديم قِدَمِ الحضارات المتقدِّمة كما قلنا، ولقد نشأت الخطابة فطرية معتمدة على الفطرة، مختلطة مع غيرها من العلوم كما تقدَّم، وبتقدم العلوم وانفصال بعضها عن بعض، كان لا بد من وضع قواعد لهذا العلم. إذ إنَّ علمَ الخطابةِ كغيره من العلوم له موضوعه وهدفه. ولما كانت الموهبة وحدها لا تكفي لتخريج الخطباء، بل لا بد من معرفة القواعد العلمية لتنمية هذه الملكات عند أصحاب المواهب الفطرية. ومن هنا تناول العلماء القدماء منهم والمحدثون علم الخطابة حتى صار علماً مستقلاً بذاته، أخذ مكانه بين العلوم الأخرى خاصة في العصر الحديث حيث صار علماً متميزاً بموضوعه ومنهجه يُدْرَسُ في الجامعات المختلفة.

هذا ويعتمد علم الخطابة على أركانٍ ثلاثةٍ وهي أركان لا بد من معرفتها ودراستها لمن يريد أن يتعلَّم هذا العلم أو يتعرَّف عليه وهذه الأركان الثلاثة هي:

١) الركن الأول الخُطبة.
٢) الركن الثاني الخطيب.
٣) الركن الثالث المستمِعُ.

وقد انحصر هذا العلم في هذه الأركان الثلاثة، لأن الكلام المقنع الذي يراد توجيهه إلى جماعة من الناس لإقناعهم بفكرة معينة هي الخُطبة، سواء كان ذلك خُطبةً بالمعنى الشائع الآن بين الناس، أو كان درساً أو محاضرة أو ندوة وغيرها كما أنَّ الشخصَ المتقِنَ لهذا الفن الذي يستطيع أن يشافه الناس ويخاطبهم بما يريد إقناعهم به والتأثير فيهم بما يريده الخطيب. ولا شك أنَّ الكلام الذي يتكلَّمه الخطيب لا بد أن يوجَّه إلى مجموعةٍ من

الناس يستمعون إليه، إما عن طريق المشافهة، أو عن طريق وسيلة من وسائل الإعلام، وهذه المجموعة التي تستمع ويخاطبها المتحدث، هم المستمعون.

وفي ذلك يقول ابن رشد: "إن الكلام مركَّب من ثلاثة: من قائل وهو الخطيب ومن مَقُولٍ فيه وهو الذي يعمل فيه القول - يعني الخطبة، ومن الذي يوجَّه القول إليهم وهم المستمعون".

هذا ويتناول بحثنا عن هذه الأركان الثلاثة كلاً منها وذلك لأهميتها، لأن علم الخطابة يدور بحثه عن هذه الأركان ولا تكون الخطابة بدون واحد منها.

المبحث الأول
الخُـطبـــة

إن الخطبة وإلقاءَها ليست عملية سهلة هينة وليست مجرد كلام يقال، دون ترتيب أو تبويب أو تنظيم، ولكنها أمر شاق يحتاج إلى وقت وجهد كاملين، إن الذين يستمعون لها إنما هم بشر لهم عقول تحكم، ولهم أرواح تحس، ولهم نفوس تتذوق، ولذا فإنه يتحتم على الخطيب حين يريد أن يخطب الاستعداد والإعداد لهذا الكلام الذي لا بد أن يكون له معنى، وأن يقصد من ورائه إقناع الجمهور واستمالتهم إلى مقولته، ولذا كان عليه أن يتصور هذه الخطبة بوجدانه قبل أن يلقيها، وأن يفكر في عناصرها ويركزها بعقله قبل أن ينطق بحرف منها، وأن يقف على الأدلة والبراهين التي سيوردها خلال إلقائها ويهيئ ويرتب أسلوبه وبيانه الذي سيحدث بها المستمعين. فالخُطبة لا بد أن تكون متسلسلة منظَّمة وأن تكونَ واضحةَ البيانِ في أسلوبها حتى يقتنعَ المستمع وتستميله بأدلتها. وتؤدي الغرض منها، فإنه لا بد أن يتناولَ فيها نقطتين كما يأتي:

١) محتويات الخُـطبة.
٢) كيفية إعداد الخطبة وتكوينها.
٣) خاتمة الخطبة.

محتويات الخطبة

اتفق العلماء المحدثون على تقسيم محتويات الخُطبة إلى ثلاثة أقسام أو مراحل، وهي: المقدمة والإثبات (عرض الموضوع) والخاتمة.

المرحلة الأولى: المقدمة

هي ما يجعله الخطيب صدر خطبته. ومقدمة الخطبة هي عبارة عن مدخل للخطبة يتوصل بها لخطيب ليمهد لأفكاره ويوهم السامعين ويستثير انتباههم. ولا شك أن هذه المقدمة ضرورية فهي التي تنقل السامع من حالة اللامبالاة التي يكون عليها قبل إلقاء

الكلام إلى جو آخر يصبح فيه أكثر تقبلاً للأفكار التي سيتولى الخطيب عرضها والتأثير بها. والمقدمة الحسنة المختارة اختياراً جيداً ستُثيرُ المستمعَ وتجذب انتباهه وتدفعه إلى الانتظار والاستمرار في الاستماعِ، ولذا فإنَّ كبارَ الخطباءِ يتوصَّلون دائماً المقدمات، التي تثير المستمع وتجذب انتظاره وتنـــزع من حالة لأخرى. وعلى نجاح المقدمة أو فشلها يتوقَّفُ نجاحُ الخطيبِ أو فشله، وإذا وُفِّقَ في إقناع السامع بخطورة حديثه وأهمية الأفكار التي يتولى معالجتها يكون قد مهَّد للنجاح في خطبته. والمقدمة ضرورية جداً بالنسبة للموضوعات التي اعتاد الناس على سماعها، وخاصة تلك التي تعنى بالوعظ والإرشاد، على أن يراعي الخطيب الشروط التي ذكرناها قبل ذلك من تنويع الكلام وتغيير الأساليب، وبراعة الاستهلال وإظهار ما يفيد في موضوعه جديداً.

ولما كانت المقدمة ضرورية وأهمية للخطبة لمالها من تأثير وانتباه، وحتى تؤدي المقدمة إلى ما يبغيه الخطيب من ورائها، فيجب أن يراعي الأمور التالية، وأن تتوفر هذه الشروط وهي:

١) أن تكون قصيرة موجزة لكي لا يشغل الذهن بغير المطلوب، فينصرف عن الأساس والأصل إلى ما هو في المرحلة الثانية لأن المقدمة والافتتاح ما هي إلا تهيئة المستمع وإعداده لتلقي الموضوع الذي يرجو المتحدث أن يقنع به المستمع ويرضخ لنتائجه.
٢) أن لا تكون مبتذلة تمجها الأسماع.
٣) أن لا تكون بعيدة عن الموضوع غريبةً عنه، وإنما يجب أن تكون موافقة للموضوع ومتصلة ومرتبطة بما يعنيه.

ولا شك إذا راعينا هذه الأمور وضمنا حسن مقدمة الموضوع وافتتاح مناسب للمستمعين، والمقام الذي تلقي فيه لعلمنا يقينا أنها تلامس رغبة الجمهور وتشارك وجدانهم فيضطرون لمعايشتها من أول الافتتاح إلى نهاية الخاتمة، وعند ذلك يكون الخطيب قد أدَّى دوره كما ينبغي وينجح في المهمة التي ألزم نفسه بها.

المرحلة الثانية: الإثبات (عرض الموضوع)

هو الأساس فيها ويصل إلى المستمعين إما عن طريق إيضاح الأدلة ويسمى هذا الطريق بالتبيان، وإما عن طريق إبطال حجج الخصم بما يقضي على دعواه ويسمى هذا الطريق تبشيراً. وعلى الخطيب أن يطرح في موضوعه الأفكار العامة الرئيسية إلى الأفكار الثانوية، تتدرج وتتطور، وأن لا يدفع أفكاره إلى السامعين دفعة واحدة بل على أقساط وأجزاء حتى تتسرب إلى نفوسهم ويؤمنوا بها وينقادوا إليها دون أن يشعروا بالملل. وسنتناول هذا بمزيد من التفصيل عند الكلام عن إعداد الخُطبة في حينه.

المرحلة الثالثة: الخاتمة

هي آخر مرحلة الخُطبة ولاجدال أنها مهمة جداً، لأنها آخر مرحلة يركّز المستمع عليها انتباهه وآخر ما يقرع أذانهم، فلا بد أن تكون بمثل القوة والبراعة التي كانت في الخُطبة، وذلك لتظل عنصر الإثارة التي هي الركيزة الأولى في الخُطبة، ولا بد أن تشتمل على موجز لما ألقاه وتوضيح كامل لغايته ومرماه، وأن تكون مثيرة للعاطفة في القضية التي يتعرَّض لها الخطيب، ولنا الأسوة الحسنة والعبرة فيما أنزل الله تعالى في خواتيم سور القرآن حيث نجدها في غاية الحسن وغاية الدلالة على موضوع السورة مع تضمنها على ما يوحي بانتهاء الكلام حتى لا يبقي انتظارٌ عند المستمع.

كيفية إعداد الخُطبة وتكوينها

المقصود بإعداد الخُطبة هو التهيئة والتحضير. ولا بد من ذلك ليبرز المعنى ويتضح المغزى، ويُؤثِّر الكلام، مثل: تهيئة الخُطبة وتحضير وترتب المعاني وتحسين الألفاظ وأن تبنى النتائج على المقدمات، لنصل إلى ما نرجوه للخطبة وما ينبغي من وراء إلقائها.

وإعداد الخطبة وتكوينها لا بدَّ أَنْ يمرَ بأربعِ مراحلٍ حتى تظهرَ الخطبةُ بصورتها اللائقة بها وهي:

١) المرحلة الأولى: اختيار الموضوع (خلق موضوع الخطبة).
٢) المرحلة الثانية: إيجاد العناصر وتركيبها.

٣) المرحلة الثالثة: اختيار الأدلة.
٤) المرحلة الرابعة: التعبير البياني.

المرحلة الأولى: اختيار الموضوع (خلق موضوع الخطبة)

حين يفكّر الخطيبُ في إلقاء خطبته، أو يطلب من ذلك، فإنَّ عليه أن يعملَ ما يأتي:

أولاً: أن يلجأ إلى نفسه ويفرغ عقله إلا من التفكير، والبحث عن الموضوع الذي يتناسب مع الزمان والمكان والجمهور الذي سيلقي فيه الخُطبة، ولا بد أن يراعي هذه الأمور مراعاة تامة، لأن ما يناسب التهنئة لا يناسب العزاء، وما يقال في الصلح غير ما يقال في الجهاد، وخطبة الأعياد والمناسبات الدينية غير الخطب التي تقال في الأيام العادية، كما أن الموضوعَ الواحدَ يلقى بطرق متنوعة متعددة ومايثير الناس اليوم لا يثيرهم غداً تبعاً لتغير الموقف والحال.

ولذا فإن اختيار أو خلق الموضوع يتحتم أَنْ يوضَّح في إطاره العلمي الصحيح، وتحديد هذا الموضوع لا بد أن يتم وفق اعتبارات موضوعية معينة، ولا بد أن تناسب الخطبة مع المستمعين. فالناس يتأثرون ببيئتهم وثقافتهم. وهنا وجب أن ينبني هذا الاختيار أو الخلق لموضوع الخطبة على اعتبارات ثلاثة حتى تُبنى الخطبةُ على أسسٍ علميةٍ سليمةٍ.

أ) مراعاة المناسبة

المناسبة والأحداث الجارية والمعاصرة وهي كثيرة جداً، منها المناسبات الدينية كذكرى مولد النبي محمد ﷺ، وذكرى الإسراء والمعراج والعام الهجري ونزول القرآن إلى غير ذلك، ومنها المناسبات القومية أو الوطنية، مثل: عيد الاستقلال، ويوم العمال، والتربية والتعليم وغيرها، والمناسبات الاجتماعية مثل: العقيقة وعقد النكاح، وختم القرآن وغيرها. وتتغاير الخطب بتغاير المناسبات، فخطبة الرثاء ليست كخطبة النكاح، والخطبة الدينية ليست كالخطبة السياسية، فهذا لكل مقام مقال ومراعاة هذا يُعَدُّ من عوامل نجاح الخطيب. يقول الفيلسوف المسلم ابن رشد من الضروري أن يقف الخطيب على ما يحتاج أن يشير به في واحد وليس يحتاج عند الإشارة بالزيادة في النبات أن يكون فلاحاً، ولا في

الحيوان أن يكون راعياً، لكن يكفيه ذلك معرفته بمقدار الحاجة إليها لكن يحتاج مع هذا أن يكون عالماً بالسير المتقدمة في هذه الأشياء وما عند الناس فيها[1].

إنَّ الناسَ عند ما يرون أن الخطيبَ كان مراعياً لهذا سيُقبلونَ عليه وينتفعون بقوله وليس معنى هذا أن لا يقتحم الجديد، وإنما عليه أن ينظر إلى علل مجتمعه فيحاول علاجها قبل أن يقضي عليهم الداء ويستفحل الخَطَبُ. ولذلك يجب على الخطيب أن يلتفت إلى تناسب الحدث مع موضوع خطبته، وأن يراعي مناسبات الناس، وأن لا يبتعد عنهم، فلا بد للجمهور أن يجد قولاً يتصل بيومه وحياته، حتى ينتبه إليه، بل إن فاته من هذا المقال شيء سأل عنه إشباعاً لنفسه التي أثارها هذا المقال. والخطيب ينبغي أن يحيط بهذه المناسبات حتى يساير الناس فكرهم بهذه الإحاطة. والمناسبات كثيرة جداً كما قلنا كلها تدور حول حياة الإنسانية في الأسرة والمجتمع والدولة. وخير ما يُعين الخطيب في اختيار الموضوع المناسب للمخاطبين أن يعمد إلى قضايا الساعة التي تشغل أذهان الناس وتتشكل منها ظروفهم فيتخيَّر منها أبرزها وأعمها سيطرة ليجعلها محورخطبته ودائرة موضوعه وذلك أجدى له وأنفع للمستمعين.

إذا أراد الخطيب أن يعرف قضايا الساعة يجب عليه أن يتابع أخبار الأمة عن طريق الأخبار من الجرائد والمذياع والتلفزيون، وغير ذلك من وسائل المعلومات، أو عن طريق البحث الميداني ليشاهد عن قريب القضايا المحيطة بهم. يقول الدكتور عبد الغفار عزيز: "هكذا شاءت إرادة الله وحكمته أن ينـــزل القرآن الكريم دستور هذه الحياة متناسقاً في كل آية وسورة مناسباً لواقع الناس ومصالحهم. ولذا خلدت به النفوس والعقول، وعاش في فكر الناس وخلدهم لا لمجرد أنه وحي من السماء وكلام الله الذي يُتعبدُ بتلاوته، وإنما لأنه مع ما سبق يشتمل على كل ما يحتاج إليه الناس لدينهم ودنياهم، ويتناسب مع حياتهم ووجودهم"[2].

---

(١) ابن رشد، المرجع السابق، ص٣٥.

(٢) الدكتور عبد الغفار عزيز، المرجع السابق، ص١٤٤.

ب) مراعاة عقلية المستمعين / المخاطبين

لا بد أن يراعي الخطيب عقلية المستمعين، فهو إذا تمكّن من اختيار الموضوع المفيد نتيجة إحاطته باتجاهات الأفراد النفسية، فإنه لا شك سيتمكّن من اختيار نوع الدليل ومستوى الأسلوب الذي يتناسب مع المستمعين، إنْ أحاطَ بعقليتهم وعرف إمكاناتهم ومدى ما تتحمله عقولهم من أدلة وبراهين. قال رسول الله ﷺ: "أُمرت أن أكلمَ الناسَ على قدْرِ عقولهم". (رواه الديلمي عن ابن عباس)[٣] والإلقاء إليهم بالكلام الذي تفهمه وتدركه هذه العقول.

فإذا كانت ملاحظة المناسبات مهمة، فلا يقل اصطفاء الأدلة وانتقائها لتتلاءم مع عقلية المستمع بأقل أهمية بل قد تربو عليها. وعلى ذلك يجب على الخطيب أن يراعي العقليات الموجودة في المجتمع وأن ينظر من طلب منه إلقاء خطبة ما إلى عقلية المخاطبين وتنوع تلك العقليات حتى يستطيع أن يلوِّن دعوتَه لمخاطبيه فإنَّ لكلِ مقامٍ مقالاً. والناس قد خُلِقُوا وجُبِلُوا على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: العلماء. وهم أصحاب العقول المفكرة والبصائر الثابتة، الذين يطلبون معرفة الأشياء على حقائقها. وهؤلآء أصحاب العقول الراقية في الناس، تكون دعوتهم بالدلائل القطعية النفسية حتى يعلموا الأشياء بحقائقها وحتى ينتفعوا وينفعوا الناس وهم خواص الناس.

القسم الثاني: العوام من الناس. هم الذين يملكون نفوساً كدرة ضعيفة الاستعداد للمعاني شديدة الألف بالمحسوسات قوية التعلق بالرسوم والعادات قاصرة عن درجات البرهان، وهؤلآء قوم يستشارون بسهولة ولا عناد عندهم وكثيراً ما تستمال قلوبهم وعواطفهم بالموعظة الحسنة.

---

(٣) الديلمي، الفردوس بمأثور الخطاب، جـ١، ص٣٩٨.

القسم الثالث: أصحاب جدل وخصام ومعاندة. فهؤلآء رسخ فيهم من العقائد الباطلة وثبت في عقولهم الباطل وما غلب عليهم من تقاليد الأسلاف، فدعوتهم تكون بالجدل المأمور بالشرع.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى هؤلآء وطرق دعوتهم بقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[٤].

فالقسم الأول دعوتهم: تكون بالحكمة، والثاني دعوتهم تكون بالموعظة الحسنة والثالث دعوتهم تكون بالمجادلة بالتي هي أحسن.

وجدير بالذكر، أنَّ الهدفَ من دراسة هذه العقليات أن يُقدِّمَ الخطيبُ حديثاً مناسباً لكل عقلية من العقليات المذكورة. وليس من العقل ولا الحكمة أنْ يأتيَ الخطيبُ بأدلةٍ وبراهينَ أكبرَ من مستوى عقول السامعين، وليس من اللائق أن يخاطب الأمي بما لا علم له به ولا اهتمام عنده به، كأنْ يحدثه عن القمر الصناعي وعن أجهزته الدقيقة وأجزائه أو غير ذلك من الأمور التي لا تعنيه أو يملأ ذهنه بالكليات المركبة أو يلقي عليها تشبيهات وأمثال لم يسمع عنها وليست من واقع بيئته، وإنما يجب أنْ يكونَ الدليلُ مبسطًا والتعاريف بالعرض المحسوس والتشبيهات والأمثال من واقع بيئته.

أما إذا كان يخاطب المثقفين فعليه أن يرتفع بمستوى الأسلوب الذي يخاطبهم به ولا مانع من أن يسلسل العناصر لهم، وأن يأتيهم بالتشبيهات والأمثال لأن متابعة التسلسل سهل عندهم. وعلى كل حال فإنَّ الإحاطة بعقلية الأفراد تُسهِّلُ للخطيب النجاح وتُوفِّر عليه العناء والتعب ونقد الناقدين، ويستطيع بإذن الله أنْ ينفعَ بخطبته أصحاب هذه العقليات.

---

(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

ج) مراعاة نفسية المخاطبين / المستمعين

لا شك أنَّ ملاحظةَ نفسيةِ المستمعينَ يؤدي إلى اختيار الطريقة الصحيحة لتقديم الموضوع، لأنَّ الطريقة التي تُقدَّم بها المعلوماتُ إلى الأفراد ذاتَ أثرٍ بالغٍ في التأثير وتعديل الاتجاه. ومن هنا فإنَّ الخطيبَ الناجحَ يجب أن يعرف نفسية المستمعين ويراعيها خاصة بعد أنْ يلاحظَ العوامل التي تُحدثُ الاتجاهات العامة وتُؤثِّر في نفس الأفراد وتنميتها.

ومعروف أن الاتجاهات الفردية صورة للاتجاهات الجماعية بشكل عام. وهذه العوامل قد حصرها علماء النفس الاجتماعي في البيئة والعوامل الوراثية وإمكانية الشحص نفسه. وعلى الخطيب أنْ يفهَم ذلك جيداً قبل إلقاء خطبته وموعظته، ويراعي عدم التصادم المباشر مع الاتجاهات السائدة ويركِّز على القضايا المؤثِّرة في المستمعين. ومن هنا يأتي اختيار الخطيب لموضوع الخطبة متفقاً مع نفسية المستمع مراعياً ظروف المستمعين وأحوالهم. وهنا كان لا بد من أن يختلف الموضوع في القرية عن المدينة وفي العمال غير المثقفين وبالعكس ويساعد الخطيب على إدراك هذه الاتجاهات بمعارفه الشخصية وسعة أفقه ومعرفة علم النفس وعلم الاجتماع. وخلاصة القول: إنَّ المرحلة الأولى من مراحل إعداد الخُطبة هي خلق موضوع الخطبة واختيار الموضوع المناسب، الذي يتفق مع نوعية المستمعين على أنْ يراعيَ الخطيبُ نفسيةَ المخاطبينَ وعقليتهم وتناسب الموضوع الزمان والمكان والمناسبة التي تلقي فيها الخطبة والقضايا المستجدة التي تحيط بالمستمعين.

المرحلة الثانية: إيجاد العناصر وتركيبها

وبعد اختيار ووضع موضوع خطبته على المنهج السابق، يأتي دور إيجاد العناصر وتركيبها والتي تصوِّر الفكرةَ وإعمال الفكر لاستنباط الوسائل التي من شأنها إقناع السامع وجذبه، وإثارة حماسته إلى ما يريد الخطيب. ثم يقوم بترتيبها وتنظيمها ويضع كل عنصر في موضعه اللائق به، بحيث تسلِّم العناصر بعضها إلى البعض الآخر، ولا تخرج هذه العناصر عن موضوع خطبته، وأن تكون هذه العناصر مترابطة ومتسلسلة كحبات العقد، لا يستغني بعضها عن بعض، بل تكون في مجموعها عقداً متماسكاً حتى ينتهي من الفكرة

ويصل المقصود إلى عقل السامع وفهمه. وعلى سبيل المثال إذا أراد أن يتكلَّمَ في الأمانة فيكون الموضوع "الأمانة وأثرها في حياة الفرد والمجتمع" وتكون عناصره كالآتي:

- مفهوم الأمانة في الإسلام.
- أمانة الإنسان مع الله.
- أمانة الإنسان مع نفسه وأهله وأسرته.
- أمانة الإنسان مع الناس.
- تأثير الأمانة في حياة الفرد والمجتمع.

ويستطيع الخطيب بعد ذلك أنْ يأتي لكل عنصر بما يحتاج إليه من الأدلة التي تساعده في إلقاء خطبته، وتيسيراً للحصول على الأدلة المطلوبة لكل العناصر في موضوع خطبته عليه أنْ يطَّلعَ على المصادر والمراجع العلمية.

المرحلة الثالثة: اختيار الأدلة

وبعد أن يستقر الخطيب على موضوع معين لخطبته ويحدد العناصر الأساسية لخطبته يأتي دور البحث عن الأدلة والبراهين، التي تُعينُ الخطيبَ على بيان موضوعه وإفهامه المستمعين وإقناعهم بما يُقالُ، وهذا يحتاج إلى تحديد نوعية المصادر التي تُفيدُ كل موضوع. ولا شك أنَّ الأدلةَ التي يختارها الخطيبُ لموضوعه منها ما يتصل بالموضوع اتصالاً مباشراً، ومنها ما يتصل به اتصالا غير مباشر، ومع ذلك فإنه يجب على الخطيب أن يراعي أولاً: القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لأنهما يفيدان أسلوبا وتأثيرا لمالهما من إعجاز وبيان، ولكونهما مصدران أساسيان يعتمد عليهما المسلمون جميعًا، ثم يراعي آراء أهل التخصص وأقوال العلماء والأئمة، لأن ذلك مما يقنع المخاطبين بسهولة.

وكذلك يجب عليه أن يلاحظ تأثير العادات والآثار القديمة وقت إعداده للخطبة وأنْ يضعَ ذلك في اعتباره وهو يختار أدلته، حتى يتمكَّنَ من التأثير وحمل الناس على ما يريده لهم ويراعي نوع الدليل الذي يأتي به ليستدل ويسترشد على صحة ما يقول، فإذا سقط الدليل سقطت القضية عموماً وفشلت الخطبة فشلاً ذريعاً.

وعلى الخطيب أن لا ينسى تقديمَ الأدلةِ في خطبته أدلة عقلية يقينية مقبولة عند السامعين، بهذا يكون قد جمع في خطبته الأدلة النقلية والعقلية معاً، وإذا تجردت الخطبة عن الأدلة النقلية والعقلية فإنها تنقص من قيمته ولا يتلقاه المستمعون بقبول حسن ويعتبرونه خطيباً ضعيفاً في دراسته، أو ليس له استعداد علمي يكفي لهذه المهمة، بهذا يكون هذا الخطيب غير موفَّق وقد يكون فاشلاً إذا استمر في هذه الحالة من الضعف.

المرحلة الرابعة: التعبير البياني

نقصد بالتعبير في هذا الموضوع التعبير بالكلام أو بالخطاب وهذا ما يقتضيه المقام فلا يدخل فيه التعبير بالإشارة والملامح ولكن الخطيب يستعين بهما في خطبته. والتعبير بالكلام أو الخطاب تبرز في أسلوبه قوة المعاني والألفاظ وقوة الحجة والبرهان وقوة العقل الخصيب، ويستخدم فيه الخطيب تعبيراً يُثيرُ به العزائمَ. ولجماله ووضوحه شأن كبير في تأثيره بالسامعين. ومن أظهر مميزات الأسلوب الخطابي التكرار والمرادفات، وضرب الأمثال واختيار الكلمات الجزلة الرنانة، ويحسن أن تتعاقب ضروب التعبير من خبر إلى إنشاء ومن تعجب إلى استفهام لجذب المستمع إليه[٥].

وبهذا يجب على الخطيب مراعاة اختيار الألفاظ والعبارات التي يُعبِّر بها عن موضوعه من الألفاظ السهلة المألوفة التي يمكن للناس استيعابها وفهم مقاصدها وعدم اختيار الألفاظ المبتذلة وأن يبتعد عن الألفاظ الوحشية الغريبة، وأن يحاول ما أمكن الاعتماد على المقاطع الواضحة القصيرة خصوصاً بالنسبة لخطب العبادات وأن يبتعد عن السجع المتكلَّف.

وعلى الخطيب أن يراعيَ اشتمالَ الخُطبةِ على الألفاظ المناسبة المثيرة لخيال الجماعة والموقظة لذكريات حية في نفوسهم والتعبير يكون حسناً حين يُثيرُ الخطيبُ الخيالاتِ التي تهزُّ نفوسَ المستمعينَ بالسرور والاطمئنان.

وهذا يأتي حين يعرف الخطيب أيَّ جماعةٍ يخاطبها، وأي طائفة يتحدث إليها، لأن لكل جماعة أسلوب يناسبهم وطائفة من الألفاظ تُثِيرُهُم. ومن حسن التعبير الكلامي

---

(٥) الدكتور السيد محمد عقيل المهدلي، المرجع السابق، ص ١٢٥.

والأسلوب الخطابي الوضوح، وذلك يكون بسهولة العبارة ووضوح المعنى، لأن فهم المعنى أساس الإقناع والاستمالة.

ولما كان الوضوح من خصائص الأسلوب الخطابي يسعى الخطيب بصفة دائمة إلى إيضاح أفكاره لمستمعيه لإقناعهم بها، واستمالتهم إليها، وعلى الخطيب أن يعرف أنَّ للإيضاح وسائلَ منها:

١) أنْ يكونَ الخطيبُ قد درس موضوعه وفهمه فهماً عميقاً دقيقاً، بحيث يستطيع أن يُعبِّر عنه تعبيراً جلياً مفهوماً، فيتجنب الغموضَ والإبهامَ والتعبيرَ المحتمل لمعنيين، ولا شك أنَّ الغموضَ في الأسلوب مرده إلى أحد الأمرين، إما لغموض المعنى في ذهن الخطيب، وإما إلى عجزه عن الإفصاح عما في ذهنه وكلاهما عيب.

٢) اختيار الكلمات التي تناسب الموضوع والسامعين بحيث تدل على معانيها في يُسرٍ وسهولةٍ ودقةٍ وتَنْفَذُ إلى الذهنِ والقلبِ.

٣) حسن عرض الجمل وتأليفها لتفصح العبارة عن المعنى الذي يقصد إليه الخطيب فيقدِّم أو يؤخِّر، ويذكر أو يحذف، ويُؤكِّدُ أو لا يؤكد ويفصل أو يصل، وترتيب الموضوع ترتيباً منطقياً بالمقدمات التي تُسلِّم إلى النتائج والمعاني الأساسية قبل المعاني الفرعية، والمعاني كلها مترابطة متماسكة لا فجوات بينها تقطع أفكار السامعين. ولا بد في الخطب العامة من البعد عن المصطلحات الخاصة بالعلوم والفنون لأنها مجهولة لدى السامعين، ولأنها لا تلائم الموضوع[٦].

فإذا استطاع الخطيب أنْ يلاحظَ في أسلوبه وعباراته أحوالَ السامعينَ وما يقتضيه المقام وما يحسن منه ومالا يحسن فهو خطيب بارع ناجح في إقناع المستمعين واستمالتهم إلى الذي يريده.

---

(٦) الدكتور أحمد محمد الحوفي، المرجع السابق، ص١٨٠.

المبحث الثاني
خطبة الجمعة وكيفية أدائها

خطبة الجمعة من ضمن الخطب الوعظية التي تُلقى على المنبر غير أنَّ لها خصوصيات عن غيرها من الخُطب الوعظية الأخرى، وهي خُطبةٌ تُلقى على المنبر قبل صلاة الجمعة بأركانها ولا تصح صلاة الجمعة إلا بها، وهي تدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو من خصوصيات هذه الأمة كما في قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[1]. وقال تعالى أيضاً: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[2]. وتدعو إلى العمل في شؤون الحياة لأنَّ الدين الإسلامي يقوم على العقيدة والشريعة والمعاملة والأخلاق.

إنَّ خطبةَ الجمعةِ من شعائر الإسلام الكبرى، ومعانيها تنساب إلى النفوس في لحظات انعطاف إلى الله وتقبل وصاياه. ولا شك أنَّ صلاةَ الجمعةِ قد فُرضتْ لحكمةٍ ظاهرةٍ لا تخفى على المفكر المتأمل، وهي ليست مجرد صلاة عادية، ولكنها بمثابة ندوة أسبوعية يلتقي فيها المسلمون للتعارف وتوثيق أواصر المودة بينهم والتعاون على ما فيه الخير.

وقد فُرضتِ الجمعةُ لتكون مجالاً صالحاً متكرراً في كل أسبوع لتحليل الخطيب لمشاكل المجتمع الذي يعيش فيه، ويجهز الحلول التي تناسب مستمعيه. وقد كان تشريع هذه الخطبة في وقت مبكر في الإسلام أكبر دليل على اهتمام الإسلام بالعلم لأن كل خطبة تعتبر موضوعاً علمياً مستقلاً ولو أُجيدَ أداؤها لتلقي المسلمُ في العام الواحد اثنين وخمسين خُطبةً، لها موضوعاتها المدروسة وأهدافها المفيدة. وتكون مؤتمراً إسلامياً أسبوعياً، لأهل كل مدينة يجتمعون فيه على البر والتقوى، وتوجيههم إلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

مشروعيةُ خطبةِ الجمعةِ

لقد أكَّد الإسلامُ فرضيةَ صلاةِ الجمعةِ بنص القرآن والسنة النبوية. وقد شرعت الخطبة قبل الصلاة وهذا ظاهر في الآية الكريمة، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٣]. فإنَّ المرادَ بالذكر هو الخطبة التي تسبق الصلاة وهكذا تضمَّنَ الذكر الخطبة والصلاة معاً. فمن الشروط الواجبة لصحة الجمعة تقديم الخطبة على الصلاة، ووقتها وقت الظهر، ويقصد بها التعليم والتذكير والتوعية، وهي تبرز دور العلم. وأهمية العلماء ولمتعلمين لأنه بالعلم يعرف الدين وتفهم مسائله وقضاياه، ويعيش المكلف عاملاً عالماً بما عمل. ومن بيان مشروعية الخطبة تبين لنا أنها شرط لا بد منها لصحة الجمعة. يقول الإمام الغزالي: "ومن شروط الجمعة الخطبتان فهما فريضتان، والقيام بهما فريضة والجلسة بينهما فريضة، وفي الأولى أربع فرائض، الأول التحميد (الحمد لله) الثاني، الصلاة على النبي ﷺ، والثالث الوصية بالتقوى، والرابع قرآءة آية من القرآن. وكذا فرائض الخطبة الثانية أربعة. إلا أنه يجب فيه الدعاء بدل القراءة، واستماع الخطبتين واجب[٤] . وقد وضَّح الإمام الغزالي تلك الأركان ونوضحها بالتفصيل على النحو التالي:

أركانُ خطبةِ الجمعةِ

اتفق جمهور الفقهاء على فرضية خطبة الجمعة، ولكنهم انقسموا في كونها واحدة أو اثنتين. فذهب الأحناف والمالكية إلى أن المشروع هو ما يقع عليه الخطبة، سواء كانت واحدة أو اثنتين، فمجرد الذكر عندهم يسمى خطبة. أما الشافعية والحنابلة فيرون كون الخطبة اثنتان شرط واجب لما روي أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يخطب قائماً ثم يقعد، ثم يقوم كما تفعلون الآن، ولقوله ﷺ صلوا كما رأيتموني أصلّي، ولم يصل عليه الصلاة والسلام الجمعة إلا بخطبتين، وهو ما تعارف عليه الناس اليوم. وروى الشافعي بسنده عن جابر بن

---

(٣) سورة الجمعة، الآية: ٩.

(٤) الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ٦، ص١٣١.

عبد الله كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة خطبتين قائماً يفصل بينهما بجلوس[٥] والخطبة الجمعة أركان لا بد من توافرها، كما ذكرها الغزالي واتفق عليها الفقهاء وهي أربعة وزاد عليها الشافعية الدعاء للأحياء والأموات في الخطبة الثانية وهي:

الركن الأول: أَنْ تُفتتحَ بالتحميد

وأقله الحمد لله، يروى ابن قتيبة أنه تتبع خطب رسول الله ﷺ فوجد أوائل أكثرها الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونؤمن به ونتوكل عليه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئآت أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله..[٦]

الركن الثاني: الصلاة على النبي ﷺ

كما أمر الله تعالى في قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[٧]. والصلاة عند الشافعية والحنابلة ركن واجب سواء ذكر الرسول ﷺ باسمه الصريح أو بضميره. وإن كان بعض متأخري الشافعية يشترطون إيراد الاسم الصريح للرسول ﷺ في الخطبة مثل: "اللهم صلِّ على محمدٍ...".

الركن الثالث: الوصية بالتقوى

والإجماع منعقد على هذا الركن صراحةً وضمنًا، وإنْ كان الشافعية يرون ضرورة التصريح به مثل: "أوصيكم بتقوى الله أو اتقوا الله حق تقاته". ولا شك أن الوصية بتقوى الله تعالى في موضوع الخطبة هي الهدف المقصود منها ولذا كان لا بد منها.

---

(٥) الإمام محمد بن إدريس الشافعي، الأم، جـ١، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٢٢٩.

(٦) عيون الأخيار، جـ٢، ص٢٣١.

(٧) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

الركن الرابع: الموعظة / التذكرة

أقلها قراءة شيء من القرآن الكريم ولو آية، لأن جابر بن سمرة قال كانت صلاة النبي ﷺ قصداً وخطبته قصدًا يقرأ آيات من القرآن ويذكّر الناس[٨]. وأما اشتراط قراءة شيء من القرآن، فلأن الخطبة فرض في الجمعة فوجبت القراءة فيها كالصلاة فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار والدقة وحسن الموقع وكثرة الفائدة. وهذه الأركان الأربعة واجبة في الخطبتين كما ذكر الإمام الغزالي واتفق عليها الفقهاء وزاد عليها الدعاء للأحياء والأموات عند الشافعية في الخطبة الثانية بدل القراءة. ونجمل أركان الخطبة كما يأتي:

- **الركن الأول**: الحمدلة في الأولى والثانية.
- **الركن الثاني**: الصلاة على النبي في الأولى والثانية.
- **الركن الثالث**: الوصية بالتقوى في الأولى والثانية.
- **الركن الرابع**: الموعظة وقراءة شيء من القرآن الكريم، وأقلها آية واحدة.
- **الركن الخامس**: الدعاء للأحياء والأموات في الثانية.

سننُ خطبةِ الجمعةِ

ذكر الفقهاء سننًا كثيرةً لخطبة الجمعة، وقد وصلت عند بعضهم إلى ثلاثة وعشرين سنةً ونذكر منها باختصار:

١) أن تكون الخطبة على منبر، أي مكان عالٍ مرتفع عن الأرض يكون موضعه أمام الحاضرين، حتى يتمكّن من رؤيته بصرفٍ النظر عن نوع هذا المنبر.
٢) أَنْ يُقبلَ الخطيبُ بوجهه على الناس، لأن ذلك أدعى للانتباه.
٣) أَنْ يسلِّمَ الخطيبُ على الناس عقب صعوده على المنبر، كما كان يفعل النبي ﷺ ويُعتبرُ ذلك تنبيهًا للناس استعداداً للحضور معه نفسياً وعقلياً.
٤) أَنْ يجلسَ بعد سلامه على الناس.

---

(٨) الإمام مسلم، متن صحيح مسلم بشرح النووي، جـ١، باب تخفيف الصلاة والخطبة، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ص٣٤٤.

٥) أَنْ يخطبَ قائماً ما دام يقدر على القيام.
٦) أَنْ يجلسَ الخطيبُ بين الخطبتين للفصل بينهما.
٧) أَنْ يرفعَ الخطيبُ صوتَهُ ليسمعه الحاضرون.
٨) سهولةُ الخطبةِ وتناسبها مع المستمعين.
٩) أن تكون الخطبة قصيرة بقدر الإمكان حتى يتمكَّنَ الخطيبُ من التركيز وعدم الاستطراد.
١٠) ترتيب أركانها لتقَدَّمَ إلى المستمعين في صورة مقنعة.
١١) أَنْ تشملَ الخطبةُ على دعاء للمسلمين عامة والحاضرين منهم خاصة تذكيراً بالإخوة الإسلامية والعبودية لله تعالى.
١٢) أَلاَّ يحركَ أطرافَهُ إلا إذا كانت الحركة مما تُفيدُ قوله وعلى أَلاَّ يبالغَ في هذه الحركة[٩].

أما كيفية إعداد خطبة الجمعة فهي كإعداد الخطب عامة كما ذكرنا، غير أن لها خصوصيات وهي:

١) أن يحدد الخطيب موضوع خطبته.
٢) وأن يحدد عناصر الموضوع، بحيث تكون متكاملة يسلم أحدهما الأخر حتى ينتهي الموضوع.
٣) وأن يختار الأدلة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة المتصلة بالموضوع.
٤) وأن يراعي الخطيب خطبته عند إلقائها، وهي مكونة من مقدمة وعرض الموضوع وخاتمة.
٥) وأن تكون أركان الخطبة باللغة العربية أما الموعظة أو التذكرة فيها، فيجب أن تكون باللغة التي يفهمها المستمعون الحاضرون.

---

(٩) راجع الفقه على مذاهب الأربعة، ص٢٤٣-٢٤٨. الدكتور عبد الغفار عزيز، كتاب الخطابة، ص١٩١-١٩٢.

٦) وأنْ لا يطيلَ في عرض موضوعه إلى حد يُثقلُ على المستمعين وينفّرهم من سماع الخطبة، وأنْ لا يقصرَ إلى حد يخل بموضوعه.

وإذا استطاع الخطيب أن يقوم بإعداد خطبته بالأمور المذكورة وأن يؤدي الواجبات، وأن يستوفي الشروط والأركان والسنن المطلوبة للخطبة، فإنه يكون ناجحاً في التأثير في المستمعين وإقناعهم واستمالتهم إلى الهدف المطلوب من خطبته.

المبحث الثالث
الخطيب ومنهج إعداده

إنَّ غرسَ تعاليمِ الإسلامِ ونشرها في الداخل والخارج، وتكوين جيل إسلامي يفهم الإسلام ويلتزم بتعاليمه ويضحي من أجله بالأموال والأنفس، وتشييد مجتمع إسلامي مصون من المبادئ الوافدة والأخلاق المستوردة، وبناء الرجال عقلياً ونفسياً وروحياً ومادياً ومعنوياً، كل ذلك بحاجة إلى خطباء وعلماء عاملين مخلصين.

فالخطيب هو الذي يؤثّر في الناس، وتأثير رجل الدين يتناسب تناسباً طردياً في جماهيره وتلاميذه كما يكون تأثير القائد العسكري في إعداد جيشه وقيادته في ميادين القتال لإحراز النصر هائلاً، فإن تأثير الخطيب العالم العامل المخلص في أبناء بلده وطلابه ومجتمعه هائلاً وحاسماً، بل قد يكون تأثير القائد العسكري محدوداً بزمان معين وبلد معين. أما تأثير الخطيب العالم المخلص فيتعدى بلده إلى بلاد أخرى ولا تقتصر على زمان معين، بل يمتد إلى ما بعده بأزمنة، ويبقى علمه ينتفع به حتى يرث الله الأرض وما فيها.

وما أحوج الدعوة الإسلامية إلى الخطباء العلماء العاملين المخلصين. إذن فكيف نعد هؤلآء الخطباء؟ وما المنهج الذي نسير عليه في إعدادهم حتى يكونوا مؤهلين في أداء رسالتهم المقدسة كدعاة ناجحين في عملهم الدعوي؟

أما إعداد الخطباء المقصود فإننا نرى ضرورة إعدادهم على المنهج التالي:

١) يجب أن نختار الخطباء الذين يريدون العمل في مجال الدعوة على أسس علمية سليمة، فليس كل من تزين بالزي الديني يصلح أن يكون خطيباً، ولكن يجب أن يكون الإنسان في موضع يتفق مع ميوله ورغباته. وهذا أول شرط من شروط النجاح. أو بعبارة أخرى اختيار من له استعداد للقيام بالخطبة. فعلينا أن نختار الخطباء الذين يريدون أن يعملوا في حقل الدعوة ولا نلجأ إلى هؤلاء الخطباء الذين يُفرضون على الدعوة فرضاً.

٢) أن يكون هذا الاختيار مبكراً، حتى يستطيعوا أن يكونوا خطباء علماء عاملين مخلصين في عملهم، ولا ننتظر حتى يفرغ الطالب من المرحلة الجامعية.

٣) تعليم الدعاة والخطباء. يجب أن تكون هناك مدارس ومعاهد لتتولى تعليم وبناء الخطباء منذ الصغر، بأن تكون هناك مراحل تعليمية تدريبية على الخطابة وتعليم قواعدها، مما يستلزم معرفة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة حفظاً ومعنى، ودراسة العلوم التي تخدم الخطابة، وأن يمارس هؤلآء الخطباء عملياً في المساجد الخاصة لتدريبهم وتنشئتهم النشأة الصالحة.

٤) رعاية الخطيب. لما كانت رسالة الخطيب الدعوة إلى الله تعالى فيجب أن يعيش الخطيب في بيئة وظروف لا تعرف المشاكل المادية وغيرها، وأن يعيش عيشة مرضية، وأن تزال من أمامه جميع المشاكل التي يعاني منها غيره فيهيأ له السكن اللائق والملبس والمركب والكتاب وغير ذلك من المشاكل التي تقف أمام الداعية.

إنَّ الخطيبَ إنسانٌ مثل أي إنسان وهو يحتاج إلى احتياجات كثيرة، فيجب على الحكومة أو المؤسسات الدعوية أن تهيء له ما يحتاج إليه من معيشة لائقة حتى لا ينظر بنظرة لا تليق به ومكانته الشريفة والمرموقة في المجتمع وخاصة في هذه الأيام، حيث تغيَّرت أنظار المجتمع إلى المادة وأنَّ من له المادة هو صاحب الشرف والاحترام، وأن من ليس له مادة ينظر بنظرة إهانة واستهزاء، فيتعسر في القيام بأعماله الدعوية، وخاصة للإقناع والاستمالة وكلامه لا يأتي بأثر مرجو، لأن كلامه غير مسموع لدى المجتمع المادي. ولأجل ذلك يجب على الحكومة والمؤسسات الإسلامية، القيام برعايته مادياً تهيئة الظروف التي تؤهله بعمله حتى تكلل أعماله الدعوية بالنجاح المنشود.

المبحث الرابع
المستمعون وطريقة مواجهتهم

المستمع هو الهدف الرئيسي من كل ما يقدمه علم الخطابة من إرشاد وتوجيه. ولذلك وجب على القائمين بالخطابة أن يلاحظوا مستمعيهم ويتجاوبوا معهم، وأن يضعوا لكل داء العلاج النافع له، وأن يكون الخطيب مع مستمعه ذا فراسة نافذة، وأن ينظر إلى المستمعين بعين فاحصة، ليختار لهم الأسلوب الذي يتفق مع مستوى عقولهم، كما يختارلهم الأدلة ويعرضها العرض الملائم لهذا المستوى، وهذا يعنى مراعاة مقتضى حال المخاطب وهذه هي البلاغة في القول.

والمستمعون للخطبة الدينية أو الوعظية إما أن يكونوا على درجة عالية في المستوى العلمي والعقلي أو وسط في هذا أو عامة دون الوسط. ولكل قسم من هذه الأقسام ما يتلاءم معه عقلياً وعلمياً ولغوياً ونفسياً. فالخطيب الناجح هو الذي لا يصطدم بمشاعر الجماهير ومعتقداتها، والجماهير كما بيَّنا سابقاً مختلفة العقول والأفكار والناس طبقات متعددة. فيجب على الخطيب أن يلاحظ اختلاف عقول الناس وأفكارهم وأنْ يخاطبَ كل قوم على قدر عقولهم، ورسولنا عليه الصلاة والسلام هو القائل: "خاطبوا الناس على قدر عقولهم، أتحبون أن يكذَّب اللهُ ورسولُه".

هذا، وقد قسَّم الأستاذ عبد الله بن علوي الحديدي، الناس وفق غلمهم وإقبالهم على الله فقال في كتابه الدعوة التامة، إن البشر أصناف متعددة وهم:

١) طائفة العلماء (العقلاء).
٢) المطيعون الله وهم أهل الروح والتقوى.
٣) الأمراء والولاة وهم أولوا الحكمة والسيادة.
٤) أصحاب الحِرَفِ والمِهَنِ.
٥) أهل الفقر والمسكنة / عامة الناس.

٦) الضعفاء من النساء.

٧) غير المسلمين من أصحاب الديانات الأخرى[١].

أما الآلوسي فقد قسَّم المستمعين من حيث عقلياتهم إلى ثلاثة أقسام:

فطائفة منهم: أصحاب نفوس مشرقة

قوية الاستعداد لإدراك المعاني قوية الانجذاب نحو المبادئ العالية، مائلة إلى تحصيل اليقين على اختلاف مراتبه وهؤلآء هم أصحاب العقل الراقي في الناس.

وطائفة ثانية: هي عوام الناس

الذين يملكون نفوساً كدرة ضعيفة الاستعداد للمعاني، شديدة الألف بالمحسوسات قوية التعلق بالرسوم والعادات قاصرة عن درجة البرهان، وهؤلآء قوم يستثارون بسهولة ولاعناد عندهم.

وطائفة ثالثة: معاندة مجادلة بالباطل

تقصد دحض الحق لما غلب عليها من تقليد الأسلاف ورسخ فيها من العقائد الباطلة[٢].

أما الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني فقد ذكر في كتابه المدخل إلى علم الدعوة وقال: ومن تتبع النصوص الشرعية الواردة في أصناف الناس يستطيع تقسيم المدعوين إلى صنفين أساسيين هما:

١) **المسلمون أو المؤمنون.** وهم المعروفون في اصطلاح الدعوة بأمة الإجابة وهم أصناف متعددة.

٢) **الكافرون أو غير المسلمين.** الذين يدخلون في الاصطلاح بأمة الدعوة.

---

(١) الدكتور محمد رجب الشتيوي، الخطابة الدينية نظريا وعمليا، دار الرسالة للتراث، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص١٨٤.

(٢) الإمام الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم، جـ١، إحياء التراث العربي، القاهرة، ص٢٥٤.

أصناف المسلمين: يمكننا تصنيف المسلمين من حيثيتين:

١) من حيث الاهتداء والضلال.

٢) من حيث قوة وضعف التزامهم بالإسلام.

فمن الحيثية الأولى ينقسمون إلى: مسلمون مهتدون، ومسلمون ضالون.

وهذا التقسيم غالباً ما يستعمل في مقام الحكم على العقائد وبيان سلامتها، لأن المسلم قد يضل في عقيدته ضلالاً لا يُخرجه عن ملة الإسلام.

ومن الحيثية الثانية ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

١) سابق بالخيرات. وهو التقي الصالح.

٢) وظالم لنفسه. وهو الفاسق الفاجر.

٣) ومقتصد. وهو الضعيف المتردد بين الصنفين السابقين.

فعلى الخطيب أن يراعي طبقات وأصناف الناس أو نوعية المستمعين، فيكلم كل طبقة أو صنف أو نوع على قدر ما تعقل. وعلى الخطيب بعد ذلك أن يعيش في مشاكل مجتمعه فيتحدث معهم فيما ينفعهم ويفيدهم، فهناك مناسبات متعددة، فيجب على الخطيب أن يلاحظ المناسبة في موضوع خطبته فلا تكون هناك مناسبة دينية ويخطبهم في مناسبة قومية، ولا تكون مناسبة اجتماعية ويخطبهم في أخرى.

وكذلك يجب الخطيب أن يختار موضوعاً مناسباً لنفسية الجماهير المستمعة، فمستمع المدينة غيرمستمع القرية، ومجتمع العمال غير مجتمع المثقفين، فاختلافات نفسية المجتمع لا بد من مراعاة الخطيب لها، إذ إن المجتمع كالأفراد لكل فرد منها نفسيته الخاصة به واستعداداته، سواء كانت فطرية أو مكتسبة، وللمجتمعات الزراعية والريفية نفسية تختلف عن نفسية المجتمعات المدنية والصناعية، وكذلك المجتمع الأمي والفقراء والأغنياء والشباب والشيوخ وهكذا.

فعليه أنْ يمهِّدَ الطريق إلى إقناع هذا الجمهور المتباين وإلى التأثير فيه فيكلّم كل طبقة على قدر ما تعقل مع مراعاة نفسية المجتمع ومناسباته.

الفصل الثالث

عوامل نجاح الخطيب الداعية

المبحث الأول
اتباع منهج الخطيب في الدعوة الإسلامية

إن الدعوة الإسلامية هي الدعوة الحق، ولا تكون دعوة الحق إلا بالطريق الحق وهذا الطريق ليس مفروشًا بالورود والرياحين، ولكنه طريق مشحون بالمتاعب والمصائب وليس من السهل على كل إنسان أن يسلكه، بل لا يسلكه إلا كل ذي قلب كبير وصبر جميل، ولذلك كانت وصية الله لنبيه ﷺ وهو يشق طريقه في الدعوة إلى الله تعالى- الصبر - قال الله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[1].

ومن أجل ذلك كان على الدعاة إلى الله وخاصة الخطباء أن يتبعوا المنهج القويم الذي رسمه القرآن الكريم وسار عليه النبي العظيم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وهذا المنهج يتلخص في هذا الأمر الإلهي من الله عز وجل لنبيه ﷺ في قوله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[2].

وهو منهج يقوم على أسس ثلاثة: (١) الحكمة. (٢) الموعظة الحسنة. (٣) الجدل بالتي هي أحسن؛ وذلك لأن الخطيب في وعظه والداعية في دعوته يواجه الطوائف

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

والفئات المتنوعة والمختلفة في الثقافة والتعليم والدين. إذ إن منهم المتخصص في الدين ومنهم الذين لا يعرفون من الدين إلا رسمه أو اسمه، ومنهم من يجادل في الله بغير علم ومنهم المعاند والجاحد والكافر والمنافق. لذا يجب على الداعية أو الخطيب أن يقابل كل فئة بالأسلوب الذي يجعلها تميل لدعوته وتستمع لوعظه وإرشاده.

أ) منهج الحكمة

كلمة الحكمة من الكلمات ذي الدلالات الكثيرة فهي في اللغة تفيد معاني متعددة منها. العدل، والعلم، والحكم، والنبوة، والقرآن، والإنجيل، والسنة، وما إلى ذلك من إطلاقات ودلالات، كما تطلق على العلة، يقال حكمة التشريع، وما الحكمة من ذلك؟ ويقال للرجل حكيم، إذا أحكمته التجارب، وأحكم الأمر أتقنه[٣].

وقد عرَّفها العلماءُ في الاصطلاح تعريفات كثيرة، مأخوذة من المعنى اللغوي من ذلك: الحكمة، إصابة الحق بالعلم والعقل، فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان، معرفة الموجودات وفعل الخيرات[٤]. ومنها: الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم[٥] ومنها: وضع الأشياء مواضعها، ومنها الإصابة في القول والعمل[٦]، وفسَّر ابن كثير "الحكيم" بقوله: الحكيم في أفعاله وأقواله فيضع الأشياء في محلها[٧] إلى غير ذلك من تعريفات عديدة.

ولكن ما المقصود بقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ ﴾ نقول: إن هذه الآية نـــزلت على رسول الله ﷺ بمكة، وهي يومئذ يقطنها شعب مختلف الطباع والفكر والعقيدة، ففيه الجاحد الكافر، والمنافق والوثني وغيرها، فكيف توجه الدعوة إلى هؤلاء؟

---

(٣) انظر لسان العرب، مادة الحكم، جـــ١٢، ص١٤٠-١٤٣.

(٤) انظر مفردات القرآن، للراغب الأصفهاني، ص١٢٧.

(٥) انظر النهاية في غريب الحديث، جـــ١، ص٤١٩.

(٦) انظر البحر المحيط، لأبي حيان، جـــ١، ص٣٩٣.

(٧) انظر تفسير ابن كثير، جـــ١، ص١٤٨.

يقول ابن رشد بعد أن بيَّن أن طبائع الناس مختلفة، فمنهم مَنْ يصدق بالأقاويل الجدلية ومنهم مَنْ يصدِّق بالبرهان ومنهم مَنْ يصدِّق بالأقاويل الخطابية، قال ما نصه: "ولما كانت شريعتنا هذه قد دعت الناس من هذه الطرق الثلاث، عم التصديق بها كل إنسان إلا مَنْ يجحد عناداً بلسانه، أو لإغفاله ذلك من نفسه، ولذلك حض عليه الصلاة والسلام إلى الأحمر والأسود، أعني لتضمن الشريعة طرق الدعاة إلى الله تعالى وذلك صريح قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ ...﴾ [٨].

وعلى ذلك تكون الدعوة بالحكمة طريقة من طرق الدعوة إلى الله والمقصود بها السير على الطريقة الواقعية للعمل، ونعني بها تلك التي تلاحظ الواقع الخارجي للمجتمع الذي نعيش فيه أو تدرس ظروفه العقلية والفكرية والنفسية والاجتماعية وتضع كل ذلك في حسابها قبل بداية العمل [٩].

فإذا التزم الخطيب بهذا المنهج والأسلوب، وتلك الطريقة اتصف بالمرونة، واستطاع أن يضع لكل داء دواءه. إذ إن كلمة الحكمة بها من المرونة ما يجعلها فاصلة قاطعة أو كل ما اتصف بها استطاع أن يضع لكل مقام مقاله، فهو لا يسوي بين الجاهل والعالم، ولا بين البادي والحاضر، ولا بين الكافر والمسلم، وهذا المراد بالحكمة في مجال الدعوة.

ب) منهج الموعظة الحسنة

الموعظة في اللغة: مشتقة من: وعظه - يعظه - وعظاً - وعظة، نصحه وذكره بالعواقب، وأمره بالطاعة ووصاه بها [١٠] فهي أسلوب آخر للخطيب الداعية ويتوجه بها إلى أصحابها من أصحاب القلوب اللينة ولذلك قيل في تعريفها: إنها "القول الحق الذي يلين القلوب ويؤثر في النفوس ويكبح جماح النفوس المتشردة ويزيد النفوس المهذبة إيمانا وهداية

---

(٨) عمدة القارئ، جـ٢، ص٥٦ بتصرف، نقل عن كتاب الخطابة نظرياً وعملياً للدكتور محمد رجب الشتيوي، ص١٨٩.

(٩) محمد حسين فضل الله، أسلوب الدعوة في القرآن الكريم، دار الوفاء، مصر، ص٤٩.

(١٠) انظر لسان العرب، مادة وعظ، جـ٧، ص١٩١.

وهي إجمالا "النصح والتذكير بالخير والحق على الوجه الذي يرق له القلوب ويبعث على العمل"[١١].

والموعظة الحسنة، طريقة في التبليغ وأسلوب في الدعوة إلى الله يحببها ولا ينفّر منها يقرّب إليها ولا يُبعد عنها ييسرها ولا يعسرها، إنها التي تدخل القلوب برفق، والرفق في الموعظة كثيراً ما يهدي القلوب الشاردة، ويؤلّف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب. إن اللطف والرفق واللين في مقام الدعوة يشعر الإنسان بإنسانيته ويوحي له بأنه أمام دعوة تفيض بالحب والحنان والحياة النابضة بالروح الإيماني والخير[١٢].

وجاءت مادة الموعظة في القـــرآن الكريـــم في كثير من آياته بصيغ متعددة، وما ذاك إلا لأهميتها كأسلوب في الدعوة إلى الله. ولذلك يجب على الخطيب القيام بالدعوة بالموعظة الحسنة، لأهميتها وأثرها في النفوس، قال الله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[١٣]. وقال أيضاً: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[١٤].

من خصائص أسلوب الموعظة الحسنة

لأسلوب الموعظة الحسنة خصائص ومزايا كثيرة منها:

١) لطف عباراته وألفاظه ومناسبتها للمقام، فلابد للموعظة الحسنة من عبارة لطيفة مناسبة.

٢) تنوع أشكاله وكثرتها فيتمكن الداعية من اختيار الشكل الأنسب، لكل حال وموقف.

---

(١١) الدكتور محمد رجب الشتيوي، المرجع السابق، ص١٩١.

(١٢) الشيخ علي محفوظ، هداية المرشدين، دار الاعتصام، القاهرة، ط٩، ١٩٧٩م، ص٦٨.

(١٣) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.

(١٤) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

٣) عظم آثارها في نفوس المدعوين ويظهر هذا فيما يأتي:

- قبول الموعظة وسرعة الاستجابة إليها غالباً.
- غرس المحبة والمودة في قلوب المدعوين.
- محاصرة المنكرات والقضاء على انتشارها، بحيث يخجل الناس إذا لم يستجيبوا مَمَنْ يعظهم موعظة حسنة، فلا يجاهرون بمنكراتهم على الأقل وما إلى ذلك من آثار لا تخفى على الداعية[١٥].

ج) منهج المجادلة

يقال في اللغة: جادله مجادلة وجدالاً: نا قشه وخاصمه اللدد في الخصومة والقدرة عليها وهو شدة الخصومة، وفي الحديث: "ما أوتي الجدل قوم إلا ضلوا" والجدل مقابلة الحجة بالحجة. والمجادلة، المناظرة والمخاصمة[١٦].

والجدل في الاصطلاح، عرَّفه العلماءُ تعريفات متشابهة منها قولهم: "عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو بشبهة". ومنها: مقابلة الأدلة لظهور أرجحها[١٧]. وقد تكون المجادلة بالحسنى، وقد تكون بالبـــاطل، قال الله تعالى: ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[١٨]. وقال: ﴿ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ ﴾[١٩].

ومن هنا قسَّم العلماءُ الجدلَ إلى ممدوحٍ ومذمومٍ، وذلك بحسب الغاية منه وبحسب أسلوبه وبحسب ما يؤدي إليه. فالجدل الذي يهدف إلى إحقاق الحق ونصرته، ويكون بأسلوب صحيح مناسب، ويؤدي إلى الخير فهو الجدل الممدوح، والجدل الذي لا يؤدي

---

(١٥) الدكتور أبو الفتح البيانوني، المرجع السابق، ص٢٦١.

(١٦) انظر لسان العرب، مادة الجدل، جـــ١١، ص١٠٥. والمعجم الوسيط، جـــ١، ص١١١.

(١٧) نفس المرجع، ص٢٦٣.

(١٨) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(١٩) سورة الغافر، الآية: ٥.

إلى خير فهو الجدل المذموم[٢٠]. ولذا جاء الأمر به في القرآن مقيَّدًا بالتي هي أحسن. وكانت المجادلة بالحسنى أسلوباً من أساليب الدعوة إلى الله نصَّ عليه القرآن الكريم، وأمر به، ويعد من أبرز أساليب المنهج العقلي، ويمكن أَنْ يعبَّرَ عنه بالمناقشة والمناظرة والمحاورة، وما إلى ذلك من مصطلحات متعددة تتفق في كثير من المواطن في دلالتها.

ويحتاج الخطيب إلى هذا الأسلوب (المجادلة والمناظرة) وخاصة في العصر الحاضر، حيث كثرت الفتن والاضطرابات واتسعت الهوة بين أصحاب الديانات؛ والإنسان كما هو معروف جدلي بطبعه، كما قال الله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾[٢١] فهو دائماً يثير المحاورة والمناقشة والمناظرة والمجادلة، حول كل ما يعرض له. ولذلك يجب على الخطيب الداعية أن يعرف علم آداب البحث والمناظرة، وأن يقف الخطيب أمام المناظرين له بالموقف الآتي:

- أن يسمع وجهة النظر المخالفة له.
- أن يحاول أن يدلل وجهة نظره بأدلة أخرى تؤيد كلامه بها تاركًا كل رغبة في الغلبة والانتصار على مَنْ يناظره بغير حق أو باستعمال القهر والسطوة أو التشهير بالمناظر أو سبه وتجريحه، لأن هدف المناظرة هو الحق دائماً.
- أَنْ يُقْبِلَ على الموضوع بعقل متفتح وفكرسليم مُفَنِّدًا أسانيد الخصم (المناظر)، دون أن يتحدَّثَ عن نفسه، لأن الناس يكرهون مَنْ يتحدث عن نفسه.
- وأن يتواضع حتى ولو كان المناظر أقل منه سناً أو علماً.
- وأن يلتجئ إلى اتخاذ آداب البحث والمناظرة إذا اقتضى الأمر[٢٢].

فللمناظرة أصولها ويجب أن يتبعها المناظر، لكي يصل إلى ما يرجوه من نتائج طبيعية، وإلا تحوَّل إلى مجادل لا يبغي غير إلزام الخصم وصار مكابراً معانداً، والمناظرة يمكن

---

(٢٠) الدكتور أبو الفتح البيانوني، المرجع السابق، ص٢٦٤.

(٢١) سورة الكهف، الآية: ٥٤.

(٢٢) الدكتور عبد الغفار عزيز، المرجع السابق، ص١٨٦-١٨٧.

استخدامها لإثارة الموضوعات الهامة التي قصد منها التوعية، ولجذب الناس واهتمامهم بموضوع معين، خاصة حين نريد قياس اتجاه الرأي العام بالنسبة إلى مسألة من المسائل[٢٣].

هذا هو المنهج الواجب اتباعه من قِبلِ الخطباء في الدعوة إلى الله، فإذا وجد المستمع أنَّ الخطيب على هذا النحو الفاهم لدعوته، فإنه سرعان ما يلتف حوله، وتكون الثمرة المرجوة من الدعوة فقد آتت ثمارها. وعلى هذا المنهج يجب أنْ تكونَ موضوعاتُ الخطابةِ التي يتوجَّهُ بها الخطيبُ إلى جماهيره ومستمعيه.

---

(٢٣) نفس المرجع.

المبحث الثاني
معرفة طرق تحصيل الخطابة

العامل الثاني الذي تساعد على نجاح الخطيب الداعية هو معرفة طرق تحصيل الخطابة. أما الطرق في تحصيل الخطابة فيمكن حصولها على أربع طرق كالآتي:

١) الفطرة والاستعداد الغريزي، وهذا هو الأصل والأساسي.
٢) معرفة الأصول والقوانين والقواعد التي وضعها الحكماء لهذا الفن.
٣) الإكثار من مطالعة أساليب البلغاء والخطباء ودراستها دراسة عميقة، لمعرفة نواحي التأثير الإقناع فيها، وتذوق ما فيها من متانة الأسلوب، وحسن العبارة وجودة التفكير.
٤) المران والتدريب عليها وممارستها وهي الخطابة العملية، ويسميها البعض بالارتياد والاحتذاء[١].

الاستعداد الفطري أساس من أسس الخطابة، لأن ليس كل إنسان يصلح أن يكون خطيباً ناجحاً، والخطيب كالفنان يجب عليه أن يكون لديه الاستعداد الفطري والموهبة الطبيعية، التي تؤهله لممارسة فن الخطابة بنجاح، وإن هناك بعض من الناس لا يفلح معهم التدريب والمران، لأن طبيعتهم تنفر من مواجهة الجماهير، ولكن هل تكفي الفطرة والاستعداد الغريزي وحدها؟ وهل يمكن بهذه الموهبة أَنْ يكونَ الإنسانُ خطيبًا؟ والحقيقة أنه لا تكفي الموهبة وحدها لإظهار الخطيب بل لا بد من توافر الشروط الثلاثة الأخرى السابق ذكرها.

فمعرفة الأصول والقوانين التي وضعها العلماء ضرورة حتى تؤتي الخطبة ثمارها المرجوة، ويستفيد منها المستمع، وإلا كانت مجرد كلمات تقال لا تُجدي نفعاً ولا تؤتي ثمراً.

---

(١) الشيخ علي محفوظ، المرجع السابق، ص١٥. وراجع كتاب الخطابة الدينية بين النظرية والتطبيق، للدكتور عبد الغفار عزيز، ص٢١.

وأما الإكثار من مطالعة أساليب البلغاء وخطب الخطباء ودراستها دراسة عميقة لمعرفة نواحي التأثير فيها، لما فيها من جمال الأسلوب، وحسن التعبير وجودة التفكير فهو من الضرورة. ومن خلالها يستطيع الخطيب أن يستفيد منهم، سواء من ناحية جمال الأسلوب وحسن التعبير وجودة التفكير، أو من ناحية فن الأداء وطريقة الإلقاء.

أما التدريب والمران فالقصد منها أن يمارس الإنسان نفسه الخطابة العملية، فالفطرة والاطلاع والعلم بقواعد الخطابة ملكة وعادة نفسية، لا توجد دفعة واحدة، بل لا بد لطالبها من الممارسة والتدريب كي تنموَ مواهبه. وكذلك أنه يمكن تدريب الخطيب على مواجهة الجمهور والتغلب على خجله، كما يمكن أيضاً تدريبه على معالجة بعض عيوب النطق وطريقة الإلقاء.

والإنسان إذا دُرِّبَ على شيء تعوده واعتاد عليه، بل إن الغريزة في حاجة إلى تدريب وتمرين. وقد قال خالد بن صفوان: "إنما اللسان عضو إن مرنته مرن فهو كاليد تخشنها بالممارسة، وكالبدن تقويه برفع الحجر، والرِجْلُ إذا عُوِّدَت المشي مشت"[٢].

ولا شك أن ممارسة الخطابة في بدايتها عملية صعبة عند بعض الناس مثلها مثل أي عمل آخر، يحتاج إلى تدريب ومران، حتى يمكن ممارسته ممارسة سليمة، ولسنا مع مَنْ يقول بالنظرة المجردة للخطيب، وإلا كانت معنى ذلك إلغاء دور التربية وأثرها في تكوين الإنسان وتنشئته وحتى على فرض وجود هذه النظرة، فإن الخطابة الفطرية لا تتمكن من القيام بدورها في هذا العصر، ولا بد للخطيب من الممارسة والاستعداد إضافة إلى الفهم والتعلم، حتى يستطيع النجاح في خطبته. والعلوم الحديثة تعتمد في تعلمها على المنهج النظري والطريقة العملية، والخطيب يمكن أن يكتسب منها المنهج النظري والعملي معاً.

هذا ما ذكرناه من طرق تحصيل الخطابة، ولكن كيف يتمكَّنُ الخطيبُ من الإجادة بسرعة؟ يقول الدكتور عبد الغفار عزيز في إجابة هذا السؤال ما يلي:

---

(٢) الشيخ علي محفوظ، المرجع السابق، ص٩.

أولاً: يجب على من يريد أن يكون خطيباً ناجحاً أن يبدأ عمله برغبة قوية، لأن الرغبة الهزيلة لا تحقق النجاح، وأن يثق في نفسه تماماً ويستسهل الوصول إلى غرضه، ويتفهم دراسته الذاتية ويقتنع بمنفعتها ويفكر فيما تعنيه بالنسبة له.

ثانياً: على الخطيب أن لا يخجل من نفسه، وألا يحجم حين يخفق مرة أو يرى نفسه في بداية الممارسة على غير المستوى المطلوب، فالحديث لا يقويه إلا حديث يشبهه، والخطبة لا تجود إلا بتكرارها، ولا بد أَنْ يعلمَ أَنَّ من يريد أَنْ يتعلَّمَ السباحةَ عليه أن يلقي نفسه في الماء ولو خاف الغرقَ ما أقدم على تعلُّم السباحة أبداً[٣].

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة: "رياضة النفس على الخطابة تكون بأمور كثيرة، بعضها يتعلق بالأسلوب والفكرة، لأن الخطابة فكرة وأسلوب وإلقاء مُحْكَمٌ، ومن الرياضة التي تتعلق بالفكرة أَنْ يُعَوِّدَ نفسَهُ ضبطَ أفكارِهِ، ووزن أرآئه، وعقد صلة بينها وبين ما يجري في شؤون الناس وعامة أمورهم، ومنها أَنْ يكونَ كثيرَ التأملِ في شؤون الحياة، وأَنْ يَتَعَوَّدَ الاتصالَ بالناسِ ليخلطَ نفوسَهُمْ بنفسِهِ"[٤].

---

(٣) الدكتور عبد الغفار عزيز، المرجع السابق، ص٢٩.

(٤) الأمام محمد أبو زهرة، أصول الخطابة، دار الفكر العربي، القاهرة، ص٢١.

المبحث الثالث
سعة المعرفة بالثقافة الإسلامية والعلوم العامة

الخطيب في المجال الإسلامي هو أمين الله تعالى على شرعه، والحافظ لدينه والقائم على حدوده، وهو الذي يعرض عقله على الناس كلما التقى بهم، لذا كان لا بد من التعمق بالعلوم كافة، وسائر أنواع المعارف والثقافة الإسلامية، حتى يكون الخطيب قادراً على أداء واجبه على الوجه الأكمل، وكلامه مقبولاً لدى السامعين.

وأهم الثقافة الإسلامية، والمصادر للخطيب: القرآن الكريم وعلومه، والحديث الشريف وعلومه، والفقه وأصوله، والقواعد الفقهية والسيرة النبوية، وعلم العقائد الإسلامية والملل والنحل، وتاريخ الحضارة الإسلامية وعلوم التصوف والأخلاق، والفلسفة الإسلامية إلى غيرها من الثقافة الإسلامية التي يجب أن تتوافر لدى الخطيب، إضافة إلى العلوم الإنسانية والاجتماعية، والمذاهب المعاصرة الهدامة، والمعارف المعاصرة، والمعلومات العامة المعاصرة المتعلقة بالحياة الإنسانية في الجرائد والمجلات والنشرات والتلفزيون والراديو، والشبكة العالمية (إنترنيت) وغير ذلك، من المعلومات التي لا يستغني عنها الخطيب في مخاطبة العقول المعاصرة للتأثير فيها وتوجيهها إلى الطريقة التي يريدها الإسلام. إضافة إلى ذلك يجب على الخطيب أن يتصل بالخطباء الآخرين المشهورين في العالم الإسلامي الذين لهم باع طويل في مجال الدعوة الإسلامية ليستفيد من خبراتهم الخطابية الطويلة نظرياً وعملياً.

وكذلك يجب على الخطيب إكثار القراءة والاطلاع على كتب التراث المعتبرة، والكتب الحديثة المعاصرة، التي قام العلماء الأجلاء بتأليفها ليرى فيها من التعليقات والتحليلات والحلول التي قدموها ليستفيد من عبرهم وعظاتهم وغايتهم ومقاصدهم وأهدافهم ويأخذ ما يناسب التقدم الإنساني، وما يساير موكب العصر وحتى يستطيع أن يفهم صفات العقول المعاصرة، ويخاطب الناس على قدْرِ عقولهم. كما قال رسول الله ﷺ

في حديثه الشريف عن ابن عباس ﷺ قال رسول الله ﷺ: "أُمرتُ أَنْ أكلّم الناسَ على قدْرِ عقولهم"[1]. (رواه الديلمي). وقال أيضاً: "لا تحدثو أمتي من أحاديثي إلا ما تحتمل عقولهم فيكون فتنة عليهم". (عن ابن عباس عن أبي نعيم ومن طريقة الديلمي)[2].

إذا نظرنا إلى العلوم والمعارف والمعلومات المعاصرة التي يحتاج إليها الخطيب الداعية في القيام بالدعوة الإسلامية وتحمل مسئولياته الإسلامية، فإنه يحتاج إلى مكتبة سواء كانت عامة أو خاصة له. ومن هنا يجب أن يكون للخطيب مكتبة توفرها الجهات المعنية، أو يوفرها هو لنفسه. وعليه أن يعيش بين الكتب ولا يكتفي بنشرة مختصرة، أو أدلة محددة ولا يساعده على ذلك إلا مكتبة فيها مؤلّفات من المعارف التي أشرنا إليها مع استعداد الخطيب، ليقرأ ويستوعبَ ويفهمَ ويستفيدَ[3]. ويكون مجداً في الدراسات والبحوث والكتابة، وليكون كاتباً بجانب كونه خطيباً يفيد جميع خبراته العلمية والعملية، لتَستفيد منها الأجيالُ القادمةُ، تساعدهم في مباشرة أعمالهم الخطابية في الدعوة الإسلامية.

ولا يستطيع الخطيب أن يقوم بدوره إلا إذا كانت لديه حصيلة من المدارك والمعارف. وإذا كان العلم في حد ذاته ضروري كما يقول الإمام الغزالي: "إذا نظرْتَ إلى العلم رأيته لذيذاً في نفسه فيكون مطلوباً لذاته، ووجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها وذريعة إلى القرب من الله ولا يتـــوصل إليـــه إلا به[4].

إذن، فإنَّ طلبَ العلم أو القراءة المستمرة لازم للخطيب الداعية، يقول النبي ﷺ: "تعلموا العلم فإنَّ تعلمه لله خَشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قُربةٌ، لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل أهل الجنة، وهو الأنيس في الوحشة، والصاحب في الغربة والمحدِّثُ في الخلوة، والدليل على

---

(١) الديلمي، الفردوس بمأثور الخطاب، جـــ١، ص٣٩٨.

(٢) السخاوي، المقاصد الحسنة، ص٩٣.

(٣) الدكتور أحمد أحمد غلوش، المرجع السابق، ص١٤٢.

(٤) الإمام الغزالي، المرجع السابق، جـــ١، ص١٢.

السرآء والضرآء والسلاح، على الأعداء والزين عند الأخلاء، يرفع الله به أقواماً، فيجعلهم في الخير قادة وأئمة، تُقتفَى آثارُهُم ويُقضَى بأفعالهم ويُنتهَى إلى رأيهم". (رواه عبد البر عن معاذ بن جبل)[٥]. ولأجل ذلك يجب على الخطيب الداعية أن يكون واسع المعرفة بالثقافة الإسلامية وغني بالمعلومات المعاصرة، بكثرة الاطلاع والقراءة المستمرة في المكتبات، وعن طريق المعلومات والاتصالات التكنولوجية.

ولما كانت الخطابة فن مشافهة الجمهور بفنون القول المختلفة، لمحاولة التأثير في نفوسهم وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم وإقناعهم واستمالتهم، فإنها لا يمكن الوصول إلى هذا الغرض ولا يتأتى بذلك إلا بإيجاد عدة لغات وخاصة في هذا العصر حيث تقدمت العلوم والتكنولوجيا، وخاصة في مجال المعلومات والاتصالات التي حَوَّلَت العالم إلى قرية كونية، أو أسرة كونية واحدة لا تحدها حدود، تقطنها مجتمعات البشر متعدد الجنسيات واللغات. فلا بد للخطيب الداعية أن يجيد عدة لغات إجادة تامة، وأن يلم إلمامًا كافياً بعدة لغات، وأهمها بعد لغة الأم واللغة الوطنية هي اللغة العربية والإنجليزية، إذا أردْتَ أن تكون خطيباً دولياً أو عالمياً ناجحاً موفَّقًا في مواجهة المجتمعات المتعدد الجنسيات واللغات، فلا بد أن تجيد عدة لغات أهمها العربية والإنجليزية كما قلنا، حيث إن هاتين اللغتين أصبحتا لغة المتداولة في هذا العصر في اللقاءات والمؤتمرات الدولية، وخاصة في استخدام الوسائل الإعلامية والاتصالات الحديثة، حيث يحتاج إلى اللغة الأجنبية لاستغلالها للدعوة الإسلامية.

أما الخطيب المحلي فيكفي أن يجيد لغة قومه إجادة تامة، وبها يستطيع أَنْ يؤثِّرَ في نفوسهم وإقناعهم واستمالتهم، ولكن هذا محدود في بلده فقط. وعلى كل حال، فإن معرفة اللغة وإجادتها لا بد للخطيب الداعية من توافرها، وأصبحت من الضروري لكل مَنْ يقوم بالدعوة الإسلامية وخاصة بالخطبة في هذا العصر، عصر العولمة وتعتبر دراسة اللغة الأجنبية من أهم الدراسات اللازمة للدعاة في العصر الحديث.

---

(٥) جامع بيان العلم وفضله، جـ١، ص٦٥ نقلاً عن كتاب الخطابة نظرياً وعملياً، للدكتور محمد رجب الشتيوي، ص١٦٥.

ثم يأتي بعد ذلك معرفة واقع المجتمع وظروفه فهي من العناصر المهمة التي يجب على الخطيب مراعاتها، حيث إنه إذا ألمَّ إلمامًا تاماً وعرف تمام المعرفة ظروف المجتمع أو المستمعين، فإنه من السهل أنْ يُعطيَ ما يحتاجون إليه، ويُقدِّم حلولاً لمشاكلهم، وأنَّ الخطيب كالطبيب إذا عرف نوع المرض من المريض فمَن السهل أن يُشخِّص نوع الدواء المناسبة له ويُشفَي بإذن الله.

المبحث الرابع
صفات الخطيب الداعية

الخطيب هو أمين الله على شرعه والحافظ لدينه، والقائم على حدوده كما قلنا. ولذا كان لا بد من توافر صفات معينة حتى يكون قادراً على أداء واجبه على الوجه الأكمل، وأن يكون كلامه مقبولاً لدى السامعين. واذا كانت القوات المسلحة تملك شعار النصر قبل المعركة، فإن شعار الخطيب هو الإقناع قبل المخاطبة، وذلك لأن الغرض من إلقاء الخطبة هو الإقناع والاستمالة. وللوصول إلى هذا الغرض المنشود لا بد للخطيب أن يتحلى بصفات معينة، ونقصد هنا هي الصفات الخلقية والنفسية منها:

١) الإخلاص

الإخلاص لله تعالى هو روح كل عمل، وكل عبادة متقبلة، وفي ميدان الدين لا يرتفع عمل مالم تصحبه نية خالصة، ومالم يقترن بإرادة وجه الله تعالى، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾[1]. وورد في حديث رسول الله ﷺ في شأن النية والإخلاص: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"[2].

والإخلاص واجب في كل عمل وفي ميدان الدعوة آكد وأوثق، وعلى الخطيب أن يخلص في عمله كداعية، ولا يبتغي فيه إلا ابتغاء وجه الله تعالى، وأن يقول ما قال الدعاة القدماء من الرسل والأنبيآء والعلماء المخلصين: "إن أجري إلا على الله عليه توكلْتُ".

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٢) الحديث بنصه وروايته، أخرجه الإمام جلال الدين السيوطي في الجامع الصغير، جـ١، ص٢، عن عمر بن الخطاب.

ويتوقف عليه نجاح الخطيب الديني أكثر من غيره، ذلك هو صلاح الخطيب حقاً وإخلاصه لله تعالى وحرصه على الاستقامة التامة على تعاليم الدين. والخطيب الذي تتوفر فيه هذه صفة الإخلاص تكون خطبته عبادة، لأنها دعوة إلى سبيل الله.

٢) العفة واليأس

العفة واليأس مما في أيدي الناس، هما صفتان لازمتان للخطيب الناجح فمن يئس مما في أيدي الناس استغنى عنهم، فيبقى محبوباً جليلاً، يُستمعُ إليه ويُنتفعُ به. أما إذا كان غير عفيف، وتَطلَّعَ إلى ما في أيدي الناس فقد باع دينه بدنياه، وصار في نظر الناس ممقوتاً محقوراً ثقيل الظل مرذولاً.

٣) الثقة بالنفس

هي الشعور من الخطيب بأنه قادر على القيام بعمله وهو الخطابة بإتقان وجدارة من الناحية العلمية والعملية، بشرط أن تكون هذه الثقة معتدلة. إن الثقة في الذات مطلوبة إلا أن الغلو فيها يعتبر من السمات المذمومة، والتي قد تورد صاحبها موارد الهلاك أو الضرر، ولذا فإن الثقة الزائدة في النفس قد تصبح علامة مرضية[٣].

ويجب على الخطيب أن يقف مطمئن النفس هادئًا غيرَ مضطربٍ ولاَ وَجِلٍ، وإلا لم يستطع أن يسيطر على الموقف، ولا أن يصل إلى غرضه ويجره هذا إلى الخطأ في الخطبة وعدم الإجادة فيها، وبالتالي إنْ أحسَّ المستمعون وشاهدوا ارتجاجه صغر في نظرهم وهان هو وكلامه في أعينهم.

فالثقة في النفس هي أساس نجاح الخطيب، وتأتي هذه الصفة بإعداد الخطيب لخطبته إعداداً بيناً على الأسس العلمية الصحيحة. وأما ثقة الخطيب بكلامه فتعني إيمانه بالمبادئ التي يدعو إليها، هذه الثقة تدفعه تلقائياً إلى تكييف صوته وانفعاله وتلهمه الحجج

---

(٣) الدكتور فرج عبد القادر طه وزملاؤه، معجم علم النفس والتحليل النفسي، بيروت، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، ص١٦٢.

والبراهين وتجعل الآخرين يتأثرون به وقديماً قيل: "ماخرج من القلب وصل إلى القلب، وما خرج من اللسان لا يجاوز الآذان، أي لا يجاوز آذان السامعين إلى قلوبهم" وقد يستطيع الخطيب أَنْ يحرِّك قلوبَ السَّامعين إليه بمواعظه ولا يفعل ذلك غيره مَمَّنْ هو أبلغ منه، ويرجع ذلك إلى إخلاصه وإيمانه بما يقول.

هذا ويستطيع الخطيب أن يحصل على الثقة بالنفس بطرق كثيرة منها:

أ) أن يحضر موضوع الخطابة تحضيراً جيداً ملماً به في جميع جوانبه مدققاً النظر فيه[٤].

ب) أن يطرد حالة الخوف بحب الخطابة نفسها، لأن الحب الكامل لها يدفع الخوف كله ويؤدي إلى ثقة الخطيب في نفسه، وهذا الحب لا يتم إلا بعد إعداد الخطبة إعداداً جيداً، لأن الإعداد تسعة أمثال الإلقاء في صنع الثقة[٥].

ج) التمرين في الخطابة قبل إلقاء الخطبة على الجماهير، ويكون التمرين بصفة دائمة مع الملاحظة الدقيقة للأخطاء الواقعة في الإلقاء والمحاولة الجادة لتحسين الإلقاء من حين لآخر. والخطيب يستطيع أن يلاحظ تطوراته في أعماله الخطابية، ويدرك سلبيته مباشرة إضافة إلى ذلك يستطيع الخطيب أن يعرف سلبيته بطريقة غير مباشرة، بأَنْ يسألَ أحد الخطباء الكبار أن يقدم له تعليقاته وملاحظاته خلال إلقائه الخطب، ومن هذه التعليقات والملاحظات يستطيع الخطيب أَنْ يُصلحَ أحواله ويصحح أخطاءه ويطوِّرَ نفسَهُ في الخطابة.

د) قراءة تاريخ كبار الخطباء من المسلمين وغيرهم للاستفادة من خبراتهم الخطابية. لقد سجَّل التاريخُ أسماءَ الخطباءِ المشهورين في كل أمة من الأمم. وعلى

---

(٤) الدكتور عبد القادر سيد عبد الرءوف، المرجع السابق، ص١٠٢.

(٥) الدكتور أحمد أحمد غلوش، المرجع السابق، ص١٧٤.

الخطيب أَنْ يَطَّلعَ على حياة هؤلآء الخطبآء فقد يستفيد من تجاربهم وخاصة فيما يتعلق بالثقة بالنفس[٦].

٤) الحلم وسعة الصدر

الحلم سيد الأخلاق وهو من الخصال التي يحبها الله ورسوله. والحلم هو من أهم الأخلاق التي يجب أن يتحلى به الخطيب الداعية، لأن الناس كثيراً ما تصدر عنهم ما يغضب النفوس ويثير القلوب. فإذا لم يكن الخطيب مُتحليًا بالحلم صدر عنه ما ينَفِّرُ الناسَ منه، والدعاة عادة يتعرضون لطبقات متعددة من الناس، وبالحلم يستطيع الخطيب الداعية أن يلقي هؤلآء، وأن يفسح صدره للجميع ويعامل كل واحد منهم بالقدر الذي ينفعه. والحلم صفة هامة للخطيب تجمع القلوب وتذيب الأحن وتعطيه قدْرًا من الصلابة في مواجهة أشد المواقف، والحلم ليس دليلا على الضعف أبداً، بل هو دليل على القوة، كما قال رسول الله ﷺ: "ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد مَنْ يملك نفسه عند الغضب"[٧].

وبالحلم وسعة الصدر يستطيع أن يعالج أمراض النفوس، وهو هادئ النفس مطمئن القلب لايستفزه الغضب ولا يستثيره الحمق، فتنفر منه القلوب، وتشمئز منه النفوس. وقد دعا الله تعالى نبيه إلى الحلم وسعة الصدر فقال: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾[٨].

٥) الجرأة والشجاعة

فالجرأة تعني عدم التهيب والتردد فيما يتحدث عنه الخطيب، وهناك مواقف يتعرض لها الخطيب، قد توهن قوته وتجعله يُغَيِّرُ مجرى خطبته أو يوجزها أو يحذف بعض عناصرها، ولكن الخطيب الجرئ لا يتأثر بها. وقد يشرع الخطيب في خطبته وبعد إلقاء

---

(٦) الدكتور محمد عقيل بن علي المهدلي، المرجع السابق، ص١٠٨.

(٧) ابن مالك، موطأ، جـ٤، ص٩٥، باب ما جاء في الغضب.

(٨) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

بعض فقراتها يقوم من المجلس، وربما من الصفوف الأمامية بعض الأشخاص يخرجون، وقد يعرض عنه بعض السامعين فينظر في صحيفة أو كتاب أو يتحدث إلى من بجانبه، فهذا يوهن قوة الخطيب ويترك أثراً كبيراً من الفتور في صوته وإلقائه، ولكن ينفعه في هذه الحالة أن يولي وجهه إلى الآخرين، وأن لا يبدي أي إكتراث بما حدث.

ويراد بالشجاعة قوة الخطيب على فرض رأيه على سامعيه وخصوصاً حين يكونون على غير رأيه ربما قاطعه بعض السامعين بما هو ضد مايقول، وقد يصفق بعض الحاضرين، وفي هذه الحالات لا يستطيع الخطيب أن يتخلص بمجرد الانصراف بوجهه إلى الآخرين ويتجاهل مَن يقاطعه، عليه أن يكون ثابتاً هادئاً مبدياً للناس بمظهره وثباته أن هذا ليس شيء يهتم به ثم يستمر في سرد الأدلة على رأيه مضمناً كلامه رداً على المعترضين في بساطة وهدوء فهذا موقف يعتمد على الشجاعة. إذ الشجاعة هي صفة من الصفات الأخلاقية اللازمة للخطيب حتى لا يهاب أحد بالجهر بالحق، ولا تأخذ فيه على نصرة الحق لومة لائم.

وفي هذا يقول الأستاذ الدكتور عبد الغفار عزيز: والحقيقة أن الخطيب الداعية لا بد أن يكون شجاعاً في الحق لا يهاب أحد ولا يخشى في الله لومة لائم، إلا أنه في حاجة إلى لباقة وحسن تصرف، حين يحاول إظهار الحقيقة ومكافحة الباطل لا بالمداهنة والنفاق. وإنما بالحكمة والموعظة الحسنة. وخاصة إذا عرف أن المجاهرة بكشف كل الحقائق ستكون عاقبتها على نفسه وخيمة وبالتالي تخسر الدعوة واحداً من رجالها، وفي هذه الحالة يكون امتناعه عن محاربة الباطل، لا بسبب خوفه على نفسه، ولكن بسبب خوفه على الدعوة نفسها، ومن أجل استمرارها، وليس هذا من قبيل المداهنة بمعنى السكوت على المنكر لداعي الهوى، ولكن مداراة لداعي الدين نفسه، خصوصاً إذا كانت النتيجة المتوقعة من إظهار المنكر ومحاربته غير مضمونة، والمداراة في مثل هذه الحالة مطلوبة شرعاً للحديث المشهور: "داروا سفهاءكم"[٩].

---

(٩) الدكتور عبد الغفار عزيز، المرجع السابق، ص٣٤.

٦) الصبر

إن الخطيب طبيب الأمة يحاول إبراء عللها أو وقايتها من أمراض متوقعة سواء كانت من ناحية العقيدة أو الشريعة والأخلاق والتقاليد، هكذا يحتاج إلى جهد متواصل وصبر من غير ملل لا سيما وأن قيادة البشر صعبة وهي بحاجة إلى قوة نفسية كبيرة لمن يحملون تبعات جسام وأمور ضخام مثل: الخطبآء والدعاة إلى الله سبحانه وتعالى، وخاصة في هذا العصر الحديث عصر "العولمة" حيث تتصارع الفتن وتتشعب المشاكل وتتراكم العقبات والتحديات والانحلال الخلقي وغير ذلك من الأوضاع والمواقف التي تحاول إبعاد الناس عن تعاليم دينهم وكرامتهم وإنسانيتهم. ولما كان أمر الصبر عظيماً وأثره طيباً في دنيا الناس وأخراهم نجد الحق سبحانه وتعالى يكرر في مواطن كثيرة الحديث عن الصبر.

- صبر على الإيذاء والابتلاء وعدم قبول الدعوة

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[١٠]. ويقول: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[١١].

- صبر على التكذيب وادِّعاء الدعاوي

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ ﴾[١٢]. ويقول: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾[١٣].

- صبر على الذين لا يعلمون

يقول الله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾[١٤].

---

(١٠) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

(١١) سورة لقمان، الآية: ١٧.

(١٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٤.

(١٣) سورة ق، الآية: ٣٩.

(١٤) سورة الروم، الآية: ٦.

- **صبر على الشدائد والمكائد**

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ﴾[١٥]. وقال تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾[١٦].

- **صبر في البأسآء والضرآء**

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ﴾[١٧].

- **صبر على انتظار ثمار الدعوة ولوكان بعد حين**

قال الله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾[١٨].

وعلى الخطيب الداعية أن يقتدي بما رسمه الله لرسوله ﷺ في الدعوة حيث أوصاه بأن لا يستعجل في اجتناء ثمار دعوته وألا يعالج العقبات التي تقف أمامه بعلاج فردي. يقول الأستاذ البهى الخولي: "ونحن نلاحظ في سيرة مولانا رسول الله ﷺ أنه لم يعالج عليه السلام بعلاج فردي، بل كان يصلي في الكعبة في خوف الله والأصنام تطل عليها بعيونها الجامدة البغيضة فلم يرفع إليها يدًا ولم يحرك ساكنًا، ولو أنه صنع ماصنع إبراهيم عليه السلام بأصنام قومه لما رآه أحد ولكن ماذا كانت تكون العاقبة؟ تعود الأصنام لما كانت، بل إلى أحسن مما كانت، ويعالج رسول الله ﷺ بالأذى كما عولج من سبقه، ولكنه ﷺ علم أن سبيل العلاج شيء غير هذا، هو الصبر والاستمرار على الدعوة، وتجميع الأنصار وتعبئة القوة. فلما أتى الله باليوم الموعود كان عليه الصلاة والسلام يشير إلى الصنم بيده بقضيب قائلاً: جاء الحق وزهق الباطل فينكفئ على وجهه إلى حيث لا رجعة، وأنا لنعلم أن شباب الدعوة الإسلامية الأولين، كانوا كثيراً ما يعرضون على رسول الله ﷺ أن يثوروا

---

(١٥) سورة الأعراف، الآية: ١٢٨.

(١٦) سورة يوسف، الآية: ١٧ و٨٣.

(١٧) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(١٨) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

إلى أسلحتهم وأن يهبوا في وجوه أعدائهم، فكان ﷺ يسكّنُ ثَورتهم ويطلب إليهم أن ينتظروه، و لم يعجل بعجلة هؤلاء الشباب بل كان يطلب إليهم أن يكفوا أيديهم عن هذا الآن، ويكتفوا بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة حتى تكتمل القوى وتنضج الثمرة وتطلع الأقدار بأيام الله[١٩].

ويقول عن هذه الخاصية النفسية وما نرى الله عز شأنه أوصى رسله بشيء أكثر مما أوصاهم بالصبر، وليس معنى الصبر هنا الاستكانة والذلة والقعود عن الدعوة، والكف عن التفكير في معالجة من يستطيلون الأذى على الأحرار الإبرياء، وإنما الصبر معناه، أن يهضم الداعية من إعراض وعناء وتحدٍ وأذى بحيث لا يشعر أن هذه العقبات يشرى بها خلقه فإن ذلك يضايقه ويعجله عن حسن علاجها بل عليه أَنْ يروِّضَ نفسه ومعدته العصبية على هضم ذلك كله بحسن الاحتمال واستقبال كل شدة بالرضا والتسليم. وأن يترقب ما يأتي به الزمن، فللزمن مفاجآت، والفرصة تجيء بغير ما ينتظر وقد يجري الله في غضونه من الأحداث والتصرفات ما يحول به من شأن هذه العقبات أو يزيلها[٢٠].

وما على الداعية إلا أن يتخذ سبيله في غير طريق هذه العقبات عليه أن يدور حولها ويمضى إلى ما خلفها، عليه أن يمضى في دعوته يدعو الناس ويجمع حوله الأنصار، ويتألف قلوب الجماهير بما يبذل لهم من خِدْماتٍ ومنافعَ ومساعداتٍ فأمامه مفاسد لا يحميها القانون، ولا ينفعها أحد في استمرارها فعليه بعلاجها وإبعاد الناس عنها[٢١].

وعلى الخطيب أن يقتدي بما رسمه الله لرسوله ﷺ، وأن لا يستعجل في اجتناء ثمرة دعوته كما قلنا، خصوصاً في عصرنا الحاضر حيث تفشت الفتنة وعمّت البلوى والعقبات التي تعترض أمام الخطباء تراكمت وتشعبت. كم من خطيب فشل في دعوته لأنه استعجل في أن يرى الناس يعملون ويطبقون الأمور التي كان يدعو إليها ويلقيها في خطبته. وإذا

---

(١٩) الدكتور السعودي عبد المقصود العجمي، المرجع السابق، ص٩٥.

(٢٠) الدكتور السعودي عبد المقصود العجمي، المرجع السابق، ص٩٠.

(٢١) نفس المرجع، ص٦١.

سئم وآيس في التبليغ وظن أنهم لا يبالون دعوته لجأ إلى اتخاذ علاج فردي غير مرغوب في عاقبته. والحق أن الصبر ضروري ليس للرؤساء فقط، ولكن للدعاة والخطباء خاصة. وإذا كان الجند في ميدان القتال في حاجة إلى الصبر فيجب أن تكون هذه في الدعاة والخطباء أوفر منها في الجنود.

فالصبر على الدعوة أحسن وسيلة وصفة وخير زاد للوصول إلى الغرض المنشود، ولما كان له هذا الأثر العظيم في حياة الإنسان جعله الإسلام نصف الإيمان كما قال رسول الله ﷺ: "الصبر نصف الإيمان"[٢٢].

٧) القدوة الحسنة

إن هذه الصفة لا تقل أهميتها من الصفات التي ذكرناها، بل أعظمها وأجلها، لأنَّ الخطيبَ الداعيةَ يكسب دعوته بسلوكه أكثر مما يكسبها بخطبه ومواعظه، ذلك لأن الناس ينظرون دائما إلى الخطباء كنماذج حية لما يدعون إليه ويتأثرون بسلوكهم العملي أكثر مما يتأثرون بالخطب المؤثرة. إن سلوك الخطيب هي الصورة العملية الحية في خطبته.

وهذه الصفات التي ذكرناها وغيرها من الصفات الخلقية والنفسية التي لم نذكرها هنا، لا بد للخطيب أن يتصف ويتحلَّى بها، إذا أراد أن ينجح في دعوته التي يدعو إليها. وبهذه يستطيع أن يقنع الناس ويستميلهم إلى ما يدعو إليه.

وعلى الخطيب أن يقتدي برسول الله ﷺ في تبليغ دعوته كما أمرنا الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[٢٣].

---

(٢٢) نفس المرجع، ص٦١.

(٢٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

القسم الثاني

الخطابة

فنياً تطبيقياً

الفصل الأول

التعريف بالخطابة الفنية التطبيقية والفرق بينها وبين أشباهها

المبحث الأول
التعريف بالخطابة الفنية التطبيقية

الخطابة الفنية أو التطبيقية، تتكوَّن من كلمتين، والخطابة تدل على القيام بعمل الخطابة والكلام أو الخطاب، وتشير أيضاً إلى عملية المواجهة بالكلام مع طلب الإصغاء بين المتحدث والمستمعين، لأنهم في العادة يتجهون نحو المتحدث إليهم لسماع خطابه لهم، وكذلك المتحدث يكون في مواجهة الجماعة ليلقي عليهم الخطاب، فالطرفان في المواجهة عادة ويشتركان في تكوين عمل الخطابة وإنجاحها.

وقد عرَّفها بعضُ العلماء، بأنها فن من فنون الكلام يقصد بها التأثير في الجمهور عن طريق السمع والبصر معاً[1]. أوخطاب يلقى من فرد إلى جماعة بقصد التأثير في نفوسهم وإقناعهم بأمر من الأمور[2]. وعرَّفها الدكتورُ محمد عقيل المهدلي بقوله: الخطابة هي الخطاب الذي يلقيه الخطيب على الجماعة بقصد التأثير في نفوسهم وإقناعهم بأفكاره العميقة الواضحة من الأمور الدنيوية والدينية بتعبير واضح وأسلوب جميل[3].

---

(١) الدكتور مصلح سيد بيومي، المرجع السابق، ص٧.

(٢) الدكتور أحمد أحمد غلوش، المرجع السابق، ص٨.

(٣) الدكتور محمد عقيل المهدلي، المرجع السابق، ص١٢.

والفنية يقصد بها العملية التطبيقية وهي إلقاء الخطبة على المنبر أو غيره، من الخطب حسب قواعد وأصول الخطابة، التي ذكرناها. إذن فالخطابة الفنية التطبيقية هي في الحقيقة فن الآداء وطريقة الإلقاء، يعني كيف يؤدي الخطيب خطبته أداء حسناً وإلقاءها بطريقة تجتذب أنظار السامعين واستمالتهم إليه، وما يعقب ذلك من إقناع واستمالة وهذا ما نقصد بالخطابة الفنية التطبيقية.

المبحث الثاني
الفرق بين الخطابة وأشباهها

بين الخطبة والدرس الديني

الدرس الديني هو ما يؤديه الخطبآء والوعاظ في دُورِ العبادة من الوعظ والإرشاد في غير وقت الخطبة أو ما يُسمى بالحلقات، والدروس الدينية أو الحلقات الدينية تمثل مدرسة منظمة بخطة ومنهج، أستاذها هو الداعية الخطيب وطلبتها هم الجماهير الذين يجدون المسجد مفتوحاً أمامهم على قدم واحدة وبلا أدنى تكلفة.

أما الفرق بينه وبين الخطابة فيتبين في الحالتين:

الحالة الأولى: إنَّ الدرسَ الديني أو الحلقة الدينية أصعب من الخطبة، لأن الخطبة تنحصر في موضوع واحد لا تتعداه وكافة الأدلة فيها تؤخذ من الوجه المناسب للخطبة بلا تناول الوجوه الأخرى، بينما الدرس الديني يتعدى موضوعه بسبب الاستطراد الموجود في الدرس، وبسبب أسئلة المستمعين التي تتعدى موضوع الدرس الديني.

الحالة الثانية : إنَّ فائدةَ الدرسِ الديني للمستمع أكثر من فائدة الخطبة حيث يستطيع أن يسأل ويستفسر عن كل ما يجول في خاطره، وبذلك تكون فائدته أعمق وأدق، وإن كان يشترك مع الخطبة في أنهما يخاطبان العقل والروح معاً.

وقد جرى العرف بين العلماء على أن الدرس الديني هو ما يؤديه إمام المسجد في مسجده أو واحد من العلماء أو بالتناوب بينهم حسب الجدول الذي ينظمه مجلس إدارة المسجد على صورة شرح آية أو تفسير حديث أو ذكر قصة للعظة والاعتبار أو عقيدة وفقه وغيرها من المواضيع والمواد.

بين الخطبة والمحاضرة

المحاضرة عادة تكون من أ هل التخصص الدقيق، لأنها إما أن تكون في مكان عام فهي محاضرة عامة، أو في مكان علمي، أو في المعاهد فهي محاضرة علمية لها موضوعها ومنهجها الخاص بها، والمحاضرة تشبه الخطبة فقصد كل منهما إقناع الناس ولكن المحاضرة تحتاج إلى الإثبات والدليل، وأقسامها تشبه أقسام الخطبة، كما أنها تتناول موضوعات متعددة مما يجعلها تتنوع إلى محاضرة دينية وسياسية واجتماعية، ولكن مع ذلك تلاحظ خلافات جوهرية وفروق بين الخطبة والمحاضرة أهمها:

أولاً: بالنسبة للجمهور يغلب على جمهور المحاضرة وجود صلة معينة تربط بينهم وبين المحاضرة ولكل محاضر جمهوره الخاص ويمكن أن نقول: إن جمهور المحاضرة من الخاصة غالباً، وأما جمهور الخطبة فهو سائر الطوائف وفئات المجتمع.

ثانياً: الوقت: تستغرق المحاضرة وقتاً طويلاً ومن الممكن تقسيمها إلى عدد من الأيام أما الخطبة فوقتها قصير، ولا تحتمل تقسيمها، لأنها محدودة بوقت معين.

ثالثاً: العناصر: عناصر المحاضرة أشبه بالقواعد والمبادئ الأساسية، أما عناصر الخطبة فأشبه الخواطر العارضة والمعاني الطارئة.

رابعاً: الأسلوب: أسلوب المحاضرة يعتمد على المنطق والتحليل والتوضيح وتثبيت المعاني والحقائق العلمية. أما أسلوب الخطبة فيعتمد على إثارة العواطف والمشاعر وتهييج الدوافع والانفعالات.

خامساً: الموضوع: موضوع المحاضرة أكثر سعة من موضوع الخطبة، وموضوع المحاضرة أقرب إلى البحث العلمي أما موضوع الخطبة فيبعد كل البُعد من البحث العلمي.

بين الخطبة والندوة

الندوة هي عبارة عن اجتماع يعالج فيه أكثر من واحد موضوعاً خفياً لتوضيحه والكشف عن آثاره بالمشافهة. فالاجتماع لا بد أن يكون هناك مَنْ يديره، لما كان الحديث في الندوة يضم أكثر من متحدث واحد، ويتناول كل واحد منهم الموضوع من

زاوية معينة، وقد يفتح بعد ذلك باب التعليق والمناقشة وسؤال لجمهور المستمعين. والندوة هي وسيلة للكشف عن وجه الحق في موضوع تشعبت فيه الآراء واختلفت فيه الأفكار، بحيث تنتهي الندوة، وقد اتفق المجتمعون على رأي واحد.

والندوة فيها تأكيد روح التعاون بين المتحدثين بعضهم بعضا وبينهم وبين المستمعين، وهي السبيل إلى استنارة العقول والقضاء على الجمود الفكري واتساع آفاق المستمعين ووقوفهم على دقائق الموضوع في أسلوب سهل وبطريقة مشوقة.

بين الخطبة والمناظرة

قد تكون هذه الندوة في صورة مناظرة ينقسم المتحدثون فيها إلى فريقين، فريق يؤيد رأياً معيناً، والفريق الآخر يعارض هذا الرأي. والحقيقة أنَّ المناظرة من الصور الخطابية المحببة إلى الجمهور، لأنها تتخذ طابع المعركة الكلامية، وكأنها مباراة في الخطابة، وهي تفيد إقناع المعاندين والمعارضين، وتنتهى المناظرة عادة بأخذ رأي الجمهور. والمناظرة مثل الندوات العامة برغم أنها تجتذب المستمعين إلا أنها لا تستلزم وجود الخطيب البارع بقدر ما تحتاج إلى القائد الخبير الذي يدير هذه الندوات والمناظرات ويستحسن أن يكون ملما بجميع أركانها واتجاهاتها حتى يستطيع بفهم وذكاء أن يحوِّل تيار المناظرة إلى الوجهة التي يريدها والتي تحقق هدفه من المناظرة.

الفصل الثاني

الخطبة الارتجالية والإعدادية

الخطبة هي الكلام المنثور يخاطب به متكلم فصيح جمعاً من الناس لإقناعهم، والخطبة من الكتاب صدره والجمع خُطَبٌ[1]. المراد هنا المعنى الأول هو الكلام المنثور. وقد قسَّمها الخبرآء في هذا المجال من حيث الأداء والإلقاء إلى قسمين:

الأول: الخطبة الارتجالية.

الثاني: الخطبة الإعدادية.

---

(1) المعجم الوسيط، في حرف الخاء والطاء والباء.

المبحث الأول
الخطبة الارتجالية

الخطبة الارتجالية هي الخطبة التي يلقيها الخطيب بدون استعداد سواء كان ذهنياً أو كتابياً في ظروف طارئة بصفة ارتجالية فيها. ذكر بعض الباحثين أن الارتجال كان ميسوراً وطبيعياً عند العرب. إذ إن كثيراً من خطبهم كانت عن بديهية وارتجال، وكأنها إلهام، فكانوا يرتجلون الكلام ويتدفق منهم عبر الخاطر ولا يسبقه الاستعداد يلقون الكلام من وحي الفطرة.

أما اليوم فهو نادر في الأمم كلها، لأن الخطيب العصري لا يقدر أن يخطب في موضوع يجهله فإن كان على علم به لكثرة ما فكر فيه أو قرأ عنه أو سمع، فإنه كالمعد له، وإن كان خالي الذهن عن الموضوع عجز عن الاسترسال فيه خطيباً. فارتجال الفكرة يكاد يكون مستحيلا، وارتجال التعبير عن فكرة مدروسة ليس كثيراً، قال الدكتور تولوز وهو من علماء النفس والأخلاق: "إن الإرتجال آفة الخطابة لأنه يلقي المعنى دون أن ينضج بالتفكير"[1].

فالخطبة الارتجالية كانت مشهورة في قديم الزمان وكانت مناسبة لظروف الناس في ذلك الوقت، وظروفنا اليوم تختلف عن ظروفهم لتقدم العلوم الإنسانية وتطورها تطوراً عظيماً في جميع جوانب الحياة كلها. كانت الخطابة في الزمن القديم عبارة عن الكلام الذي يرتجله الخطيب الذي يستمد أفكاره من الظروف الذي هو فيه، والمقام الذي يقومه، فتأتي خطبته متجانسة مع واقع الجمهور والمستمع، لأنها وليدة آنـــها بأفكارها وألفاظها[2].

---

(١) الدكتور أحمد محمد الحوفي، المرجع السابق، ص١٩٧.

(٢) الدكتور نذير محمد مكتبي، المرجع السابق، ص١٤٨ بتصرف.

وهذا النوع من الخطابة لا يزال موجوداً في هذا العصر، ولكنه يختلف عن النوع الذي كان موجوداً في قديم الزمان، لاختلاف المجتمع الذي عاش فيه الخطباء. ويستطيع الخطيب أن يرتجل في خطبته إذا طلب منه أن يتحدث في اجتماع من الاجتماعات، وكان غير مستعد، وكلامه في هذا الاجتماع يكون مناسباً لظروفه، ولكن لا يكون على المستوى المطلوب. وإذا فرضنا أنه يستطيع أن يلقي خطبته في ظروف طارئة، فإن هذه الخطبة جاءت نتيجة إطلاعه السابق وقوة ذاكرته وتجربته العميقة في مجال الخطابة. ويستطيع الخطيب أن يرتجل في خطبته إذا كان يدرس موضوعاتٍ وأتقنها وأجادها وربط بعضها ببعض، ووضعها في فكر واضح مؤيَّد بأدلة واضحة وبراهين يقينية.

والخطبة الارتجالية التي يستطيع الخطيب أن يقوم بها هي خطبة الحرب والتهنئة والترحيب والتأبين وغيرها من المناسبات التي لا تحتاج إلى إعداد سابق. ذكر بعض الباحثين أن الخطب الدينية من الخطب التي يناسبها الارتجال، في مناسبة الوقوف على عرفة أو في مناسبة ليلة القدر، لأنها تستدعي الارتجال، لأن الخطيب أدعَى إلى تَهييج النفوس وتحريك القلوب وإيقاظ المشاعر وإيثار العواطف حيث يناسب مقام الابتهال والتضرع وانهمار العبارات ورفع الأصوات بالدعاء، وكذلك يناسب التحذير من عذاب الله والترهيب من يوم الحساب والتبشير بالجنة ونعيمها في خطبة الوعظ والسلوك[٣].

يقـــول الدكتـــور محمد عقيل المهدلي: إن هذا القول له جانب من الصحة في بعض الأوقات، لأن الحديث عن الدين يحتاج إلى دراسات وأبحاث حتى يكون مفهـــوماً مقبولاً وخاصة عند المتعلمين الذيـــن لهم تخصص غير الدراسات الدينية، والخطب التي يريد الخطباء أن يقدموها إليهم، لا بد أن تكون مناسبة لعقولهم ومؤيدة بأدلة واضحة وبراهين عقلية يقينية. فالخطب المرتجلة أو الارتجاليـــة لا تناسبهم حتى في المناسبات المذكورة

---

(٣) نفس المرجع، ص١٥٠.

وخاصة في المثقفين غير الناطقين باللغة العربيـــة هم يريدون أن يفهموا الإسلام بعقـــولهم وبعد ذلك بقلوبهم[٤].

وعلى أي حال قد يكون الارتجال محموداً في بعض الأوقات، وقد يكون غير ذلك وعلى الخطيب أن يعد نفسه في كل وقت لإلقاء الخطب حتى لا يفاجئ بالطلب وهو غير مستعد. والخطيب المطلع ذو الدربة والممارسة يجد من خطبته الماضية مدداً لخطبته المرتجلة، ولهذا قلنا: إن هذه صدى لتلك (الخطبة المرتجلة صدى للخطبة المعدة) وسعة الاطلاع على أي حال ذخيرة الخطيب[٥].

هذا وقد قسم الأستاذ الدكتور عبد الغفار عزيز الخطبة الارتجالية إلى أن الارتجال إما أن يكون ارتجالا بلا تحضير سابق، وإما أن يكون بتحضير للموضوع دون استعمال ورق مكتوب، وقراءة الموضوع من الورق، ولا أعتقد أن إنساناً عاقلاً يقبل أَنْ يحدِّثَ الناسَ دون ترتيب للموضوع وتحضير له أو الجزء منه قبل أن يتحدث ولو قبل ذلك بدقائق وإلا فأعتقد أن المرتجلة ارتجالاً مطلقاً لا يستطيع أن يقول كلاماً معقولاً أومفهوماً. اللهم إلا إذا كان قد أعطي موهبة خاصة واستطاع خلال إلقائه أن يسترسل في كلامه ويكمل هذا الموضوع مع إجهاد ذهنه وشغل نفسه بالعناصر الأخرى التي سيلقيها أثناء حديثه وأيضاً مع ضرورةِ استقرارِ نفسهِ على موضوع معين، لا يبـــدأ الكلام إلا حين يحدد أهم عناصره العامة على الأقل[٦].

ولستُ مَعَ مَنْ يقولُ: إن تدوين الخطبة وتحضيرها في النفس والجنان والاستعداد للموقف قبل الكلام لا يعد من قبيل الارتجال، وأن الفرق بين هذا وبين الارتجالي الذي هو عندهم القول البديهية دون تحضير أو استعداد واضح جلي. وقد كان تحضيرخطبآء العرب في النفس والخاطرة، كانوا يرتبون الكلام في الذهن قبل إلقائه ثم يلقونه بعد ذلك ارتجالاً، ولعل قصة يوم السقيفة تدلنا على شيء من هذا، فقد قال عمر بن الخطاب ﷺ في وصف

---

(٤) الدكتور محمد عقيل المهدلي، المرجع السابق، ص١١٨-١١٩.

(٥) الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، المرجع السابق، ص٥٨.

(٦) الدكتور عبد الغفار عزيز، المرجع السابق، ص١٧٠.

حاله عندما اشتد الخلاف بين المهاجرين والأنصار على من يتولى الخلافة بعد الرسول ﷺ، قال: فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ وَكُنْتُ ذورت كلاماً في نفسي، فقال أبو بكر ﷺ على رسلك يا عمر، فما أترك كلمة كنت قد ذورتها في نفسي إلا أتكلم بها[٧].

(٧) الدكتور عبد الغفار عزيز، المرجع السابق، ص١٧١.

المبحث الثاني
الخطبة الإعدادية

المقصود بالخطبة الإعدادية هي الخطبة التي يلقيها الخطيب أمام المستمعين بإعداد تام قبل إلقائها، إما أن يكون الإعداد بحمل برشامة وهي قطعة صغيرة من الورق فيها إشارة للعناصر والنقاط التي يتضمنها موضوع الخطبة وكتابة بعض النصوص الاستشهادية. ونجد من كبار الخطباء من يسلك هذا النمط في الإعداد وفائدته أن يحصر أفكار خطبته وعناصرها الرئيسية فلا يشرد عن بعضها ولا يشتط إلى غيرها وبذلك يُحكِمُ بناءَ خُطبتِهِ الفكري في جميع أركانه. وإما أن يكون الإعداد بكتابة الموضوع كاملا بأفكاره وكلماته. أي يجمع ألفاظها ويتحرى في كتابتها أبلغ الأساليب التي توصله إلى غايته وتؤدي به إلى ما يريد وهو يُحكمُ حين يكتب معانيها ويُحمِّلُهَا كُلَّ مَا يبغي من وسائل التأثير وطرق الإقناع التي يصوِّبُها نحوَ هدفِهِ ويرمي بها إلى غرضه. وبعد أن يكتب موضوعه كاملاً يقرأ ما كتبه أكثر من مرة، وينقحه في كل مرة ثم يحفظ ماكتبه حفظاً تاماً، كأنه مرتجل في الإلقاء أو يلقيها ما كتبها لا من الذاكرة وإنما من الورقة أي قرآءة الخطبة كاملة عند إلقائها.

والإعداد بكتابة الموضوع كاملا وقراءته عند إلقائه أمام المستمعين ضروري في حالتين:

الأولى: إذا كان الموضوع يبحث في قضية علمية تكثر فيها القواعد والنظريات.

الثانية: إذا كان الخطيب من المبتدئين في الخطابة، و لم يكن سابق دربة، وكان ضحل المعرفة قليل المعين اللغوي، فهو أحوج ما يكون إلى كتابة خطبته على ورقة تكون بين يديه بمثابة الوزر الذي يعتصم به، والركن القوي الذي يستند إليه، إذ لو اقتصر على إعداد الخطبة في ذهنه دون كتابتها وَهَمَّ بإلقائها استظهاراً فربما اضطرب في موقفه تهيباً من

جمهور المستمعين الذين يشخصون بأبصارهم فإذا وقع بصره عليهم والتفت نظراته بنظراتهم اعتراه خوف الموقف فيتلجلج لسانه وتختلط في ذهنه الأفكار، وتضطرب على لسانه الكلمات، الأمر الذي قد يجعله يعي ويتلعثم فتأتي خطبته ضعيفة البيان مهتزة الأركان قليلة النفع سيئة الإلقاء.

وربما ينعكس سوءُها على الخطيب نفسه فما يطمع إلى أن يقف مثل هذا الموقف مرة أخرى[1]. إضافة إلى ذلك فإن الخطيب إذا كتب موضوع حديثه كاملاً في أوراق، يستفيد من كتابته في المستقبل الخطباء الآخرون، وإذا جمع خطبه وطبعها في صورة كتاب يكون مرجعا له ولغيره فيما بعد.

الخطيب المبتدئ خطبته ويحفظها ويلقيها كما حفظ، ثم يتطور بعد ذلك أي: بعد المران حيث يحملها معه مكتوبة وينظر إليها عند الحاجة ثم يحصن نفسه بعد ذلك حين يتقدم في الخطابة وتصبح عنده الملكة الخطابية ويعد في صفوف الخطباء يحمل عناصر الموضوع معه احتياطياً خشية الارتجاج عليه مع ضرورة دراسة الموضوع دراسة وافية وتحضير عناصره تحضيراً جيداً، ثم بعد ذلك من الممارسة الطويلة والدربة المتكررة سوف يستطيع ويتمكن من إلقاء خطبته بصفة ارتجالية دون إعداد موضوع خطبته ويعد من الخطباء البارعين في المستقبل باذن الله.

---

(1) الدكتور نذير محمد المكتبي، المرجع السابق، ص١٥٤-١٥٥.

الفصل الثالث

فن الأداء وطريقة الإلقاء

المبحث الأول
التدرب أو الممارسة

إذا كنا قد عرفنا فيما سبق كيفية إيجاد الخطبة وتنسيقها والتعبير عنها، فيجدر بنا هنا أن نعرف كيفية الأداء وطريقة إلقاء الخطبة والحالة التي يكون عليها الخطيب عند مخاطبة الجمهور وما يتخذه في تهيئة هذه الخطبة.

إن أفضل الخطب يمكن أن يفسدها أسلوب الإلقاء غير المناسب لقد كان دعاء النبي موسى عليه السلام، وهو يعد للتحدث إلى بلاط فرعون قال: ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۝ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ۝ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ۝ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴾[1].

إنَّ الخطابةَ تَتطلب تفاعلاً صادقاً لجسم المتحدث وعقله مع ما يقول وهو في حاجة إلى توجيه اهتمام إلى جسمه وصوته وعينيه وقسمات وجهه، إنَّ عليه تَوجِيه كيانه وحضوره كله إلى مهمة الاتصال مع جمهور المستمعين، وذلك يتطلب مراعاة بعض القواعد والإكثار من ممارسة الخطابة والتدرب عليها[2].

---

(١) سورة طه، الآية: ٢٥-٢٨.

(٢) الدكتور هشام يحي الطالب، دليل التدريب القيادي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص١٥٦.

وقد يضطر المرء إلى تخصيص ساعات عديدة في البحث في المواد وفي إعداد الإطار العام لخطبة متواضعة الجودة، وذلك أخفق في اتخاذ أسهل خطوة في الخطوات جميعاً، وهي التدرب على الإلقاء، وقد نتوجس من أن يحول مثل ذلك التدرب خطبتنا من عملية اتصال صادقة إلى مجرد عملية "أداء" فقط أو "موقف تمثيلي".

ولا شك أن الخطبة الجيدة يجب أن تكون طبيعية، وأن تكون انعكاساً لشخصيتنا، بيد أن علينا أن ندرك أن التحدث إلى الجمهور له أسلوبه الخاص وأن هدف الاتصال هو نقل أكبر قدر من المعلومات بشكل فعال ومؤثر في أقصر وقت ممكن، ونحن قطعًا لَنْ نخدم جمهور مستمعينا إذا ما أضعنا وقتهم في الاستماع إلى خطب مطولة لا تنطوي إلا على هراء، ولربما لن ينصتوا إلينا إذا ما فعلنا ذلك، ولهذا السبب فإن التمرس في التحدث المنظم سوف يفيدنا حتى في الخطب العفوية وغير الرسمية، وكلما يمكن أن نعبر عما نريد قوله بوضوح وإيجاز بليغ بدون الخروج كثيراً عن المسار المرسوم، كثر عدد الناس الذين يستمعون إلينا باهتمام في كل مناسبة، قم في بعض الأحيان بتسجيل الإلقاء كله على شريط تسجيل لمراجعته واستعراضه والاستفادة منه ولسوف تدهش حقاً من مدى الفائدة التي ستجنيها من إنصاتك إلى خطبتك بنفسك[٣].

---

(٣) الدكتور يحي هاشم الطالب، المرجع السابق، ص١٥٦.

المبحث الثاني
المقوِّمات

إنَّ الخطابةَ فنٌّ مِنْ فنون الكلام يقصد به التأثير في الجمهور عن طريق السمع والبصر معا، ما يدخل عن طريق السمع هو - الأسلوب - والإلقاء - والصوت وما يدخل أثره عن طريق البصر هو - الهيئة والوقفة - والحركة والملامح. وسوف نوضِّحُ كلَّ واحِدَةٍ مِنْ هذه المقومات على حدة فيما يأتي:

المقومة الأولى: الأسلوب

وعلى الخطيب الداعية أن يتوخى ما استطاع من استخدام أفضل الأساليب اللغوية في التعبير، فاستخدام الكلمات والعبارات العامية يصم المتحدث بالسطحية وعدم النضج وينتقص من جدية الأمر ويقلل من قيمة المحاضرة أو الخطبة. وقد يكون من استخدام الكلمات والتعبيرات الجديدة، وسيلة فعالة لتحقيق انسجام سريع مع الجمهور، لكن يجب اختيار الكلمات بحذر ودقة، وكثيراً ما روى صحابته ﷺ أنهم كانوا إذا استمعوا خطبة رسولهم ذرفت الدموع وخشعت القلوب ولانت الجوارح، وما كانوا ذلك إلا لما فيها من دقة شاملة لألفاظها ومعانيها وموضوعها، يقولون: إن من البيان لسحرا، والخطيب الحصيف يمكنه أن يسحر الأفئدة بقوة فكرته وحسن إلقائه وعذوبة كلامه وسهلة عرضه ووضوح فكرته، والخطيب لا يصل إلى الأذهان إلا عن طريق الآذان، فالخطيب الحاذق هو الذي يصوغ خطبته في أسلوب تتخير له الألفاظ المتسقة والجمل المتراصة والفقرات المترابطة والأساليب السهلة. قال النووي: يستحب كون الخطبة فصيحة بليغة مرتبة مبينة من غير تمطيط ولا تقصير، ولا تكون ألفاظاً ملفقة، لأنها لا تقع في النفوس موقعاً كاملاً، ولا تكون الخطبة وحشية نافرة جافة لا تحصل المقصود منها، بل تختار ألفَاظًا سهلة جزلة مفهمة[1].

---

(١) الدكتور السيد أبو الجود، المرجع السابق، ص٤٥.

وعلى الخطيب أن يراعي في تخيُّرِ الأسلوبِ هذه الأمور الآتية:

١) توخي الأساليب السهلة.
٢) التفنين في تنويع الأساليب.
٣) تخيُّر الألفاظِ.
٤) الاعتماد على العاطفة والشعور، بمعنى أن يكون الخطيب يقظ القلب جياش المشاعر صادق اللهجة، وهكذا فإنه لا يؤثر في الناس إلا المتأثر، وكما قيل فاقد الشيء لا يُعطيه[٢].

المقومة الثانية: الإلقاء

إنَّ فضلَ الخطيبِ يمكن أن يفسد طريقة الإلقاء كما قلنا، فإن لِحسنِ الإلقاءِ أثراً عظيماً في نجاح الخطبة. ولذلك فهو من أجل ذلك ينبغي اهتمام الخطيب به، فقد تستمع إلى خطبتين ذاتي موضوع واحد، إلا أنه يجذب إحداها انتباهك ويثير إعجابك بحسن إلقائه وجمال عرضه. والإلقاء الحسن يتمثل في الوضوح والطلاقة وتمثيل المعاني والعواطف، وذلك بتغيير اللهجة وتنويع الصوت فيهدأ الخطيب ويبطئ ويسرع ويغضب، ويعجب ويتبسم، ويسأل ويجيب وكل ذلك في استقامة لغة وسلامة منطق. وهكذا لا يبلغ الخطيب غايته إلا إذا كان حسن الإلقاء جميل الأداء قوي الروح ليواجه السامعين بالحق الواضح والذكر المبين. والدليل على ذلك أنَّ رَسولَ الله ﷺ كان يلقي خطبته ويقف عن الكلام قبلَ وبعدَ كلِ فكرْةٍ، مما يساعد السامع في استيعاب ما فات، والاستعداد لما يأتي وبعض الأحيان كان يطيل سكوته إذا احتاج الأمر، وكان يكرر كلامه ثلاثًا إذا رأى حال سامعيه يقتضي ذلك[٣].

---

(٢) الدكتور السيد أبو الجود، المرجع السابق، ص٤٥.

(٣) الإمام البخاري، صحيح البخاري، في كتاب باب العلم، دار الفكر، بيروت، ١٤١هـ-١٩٨١م.

المقومة الثالثة: الصوت

أ) **طبقة الصوت**: ومما يُؤثّر عن طريق السمع الصوت (طبقة الصوت) إن الخطب يتم إعدادها لتلقي، فتسمع سواء تم استخدام مكبرات الصوت أو لم يتم، فعلينا أن نقدِّر المستوى الذي يجب أن يبلغه صوتنا حتى يسمعه الآخرون بوضوح، إن وضع علامة معينة على ورقة الملاحظات أمامنا تنبهنا إلى أهمية توجيه جملنا الافتتاحية إلى الأشخاص الذين يجلسون في مؤخرة القاعةِ يمنةً ويُسرةً، لأَنَّ هَؤلآء هم أبعد المستمعين مسافة عن المتحدث.

ب) **النغمة**: فهناك صنفان من النغمة: النغمة الوحيدة والنغمات المتغيرة. والنغمة الوحيدة متعبة للمستمع كالعزف على مفتاح واحد من البيانو دون غيره. ونتيجة لذلك، يصبح من الصعب التركيز على ما يقال، حتى وإن كانت المادة التي يقدمها المتحدث ذات قيمة عالية. أما المتحدث الذي يتمتَّع بنغمات صوتية رتيبة، فإنه كالصوت المغرد الذي يرتفع وينخفض على فترات منتظمة، ويميل جمهور المستمعين إلى التركيز على وتيرة الصوت، إن تجلت أكثرمن التركيز على الكلمات التي يسمعونها. والتأكيد اللفظي قد يكون مهمًا أيضاً للإلقاء، بل غالباً ما يكون جوهرياً في إطار توضيح المعاني التي نقصدها إنَّ هذا التأكيد اللفظي يحمل في طياته نوعاً من أنواع التغير اللفظي لكي يتم الفصل بين ما نريد التأكيد عليه كأمر جوهري وبين أي مادة ثانوية متعلقة به.

وعلى كل حال، فإنَّ الصوتَ من المهمة اللازمة للخطيب أثناء إلقاء خطبته، والصوت الجَهْوَريّ والعناية برفعه أو خفضه في المواضيع المختلفة، إذ هو طريقة الفكرة إلى الأذن، فلاَ بُدَّ أَنْ يكونَ جيداً حلو النفخة صافي الرنين خالص النبرات، ويجب على الخطيب أن يُعنى به ويحرص على ارتفاعه ومدى اتساعه، حتى لا يُكلَّف فوق طاقته ثم يرفعه رويدًا رويدًا، حتى يبلغ به أقصى قوته ثم يردده بين الصعود والهبوط محاذراً أَنْ لا يخرج به عن مستواه. وكان رسول الله ﷺ يفخِّم لفظه ويملئ به فمه، ويُخرجُ كلَّ حرفٍ من مخرجه، وذلك يساعد النطق الصحيح على الإرشاد السليم[٤].

---

(٤) الدكتور أحمد أحمد غلوش، الدعوة أصولها ووسائلها، دار الفكر، بيروت، ص٤٧.

والنطق الصحيح يحتاج إلى العناصر الآتية:

- الأول: تجويد اللفظ.
- الثاني: مجانبة اللحن.
- الثالث: تصوير المعاني.
- الرابع: التمهل[٥].

أما الإلقاء الحسن فيحتاج إلى الأمور الآتية:

- أولاً: إبراز الكلمات الهامة.
- ثانياً: تغيير ارتفاع الصوت.
- ثالثاً: تغيير سرعة الصوت.
- رابعاً: التوقف قبل وبعد كل فكرة[٦].

إبراز الكلمات الهامة هو أن يضغط الخطيب على بعض المقاطع دون بعض، بشرط أنْ لا يكون هذا الضغط عشوائياً، ولكن يجب اختيار الكلمات الهامة الدالة على الموضوع أو المؤيِّدة للعناصر أو الموجزة للخطبة كلها. وتغيير ارتفاع الصوت له أثر كبير في وقع الكلام على المستمع حسناً أو قبحاً، لذلك وجب على الخطيب أن يغيِّر صوته بين الارتفاع والانخفاض ليؤثّر بالصوت والمعنى معاً، ويجعل صوته مناسباً لسعة المكان أو ضيقه. وكذلك تغيير سرعة الصوت من الأمور السارة التي تمكِّن الخطيب من الوصول إلى هدفه، ويجب على الخطيب أن يركّز في تقسيم خطبته ويوقف المستمع معه على هذا التركيز، وهذا لا يتأتى إلا بمؤثرات صوته في الإلقاء، تأتي عن طريق التوقف عن الإلقاء قبل كل فكرة وبعدها ولو للحظات قليلة، لأن المستمع سوف يبحث عن سر هذا التوقف، وفي خلال بحثه يجد الفكرة الهامة أتته في فهمها بإتقان.

---

(٥) الدكتور أحمد أحمد غلوش، علم الخطابة، ص١٥١-١٥٢.

(٦) نفس المرجع، ص١٥٣.

المقومة الرابعة: الهيئة

ومما يُؤثِّر عن طريق البصر الهيئة، يُقصد بالهيئة، وقار لبسه وجمال مظهره، إنَّ حُسْنَ المظهر وجماله أمر حبذه الإسلام وحَضَّ عليه وخاصة في موطن العبادة. فقال سبحانه وتعالى: ﴿ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾[٧]. كما وجدنا الرسول يوجِّه المسلمين إلى وقار المظهر وآداب الملبس فقال لما رأى رجلاً ثائر الشعر: "ما كان هذا يجد ما يسكّن شعره"[٨]. وقال لما رأى آخر يلبس ثوباً وسخاً: "ما كان هذا يجد ما يغسل به ثوبه"[٩].

وذكر ابن حبان الأخبار عما يجب على المرء من إظهار نعمة الله جل وعلا وانتفاعه بها في حياته: "عن أبي الأحوص عن أبيه أنه أتى النبي ﷺ فرآه رسول الله ﷺ أشعث أغبر بهيئة عربي، فقال: "ما لك من المال؟" قال: من كل المال قد آتاني الله". قال: إن الله إذا أنعم على عبده نعمة أحب أن تُرى به"[١٠].

إذا كان هذا ما ينبغي أنْ يكونَ عليه عامة الناس، فَإنَّ مَنْ قَامَ مَقام الوعظ والإرشاد ووقف موقف التوجيه والتعليم جدير أنْ يكونَ أشدَّ اهتماماً بتناسق ثيابه ونظافته، وحسن هندامه، لأنه محط أنظار الجماهير التي تصغى إليه وتسمع كلامه. وإن لحسن مظهر الخطيب وجمال هندامه وقعاً في نفوس السامعين وتأثيراً في ذواتهم تلك هي طبيعة النفس البشرية التي تميل إلى المألوف وتأنس بالكمال والاعتدال أما إذا اضطرب مظهر الخطيب وتبذلت ثيابه، واختلط هندامه كان ذلك سبباً في نفور نفوس الناس وإدبارهم عن سماعه واستهانتهم به، كما حدث لإياس بن معاوية المزني عندما أتى حلقة قريش في مسجد دمشق، فاستولى على المجلس ورأوه أحمر دميماً رث الهيئة قشيفاً فاستهانوا به فلما عرفوه اعتذروا إليه وقالوا: "الذنب مقسومًا بيننا أتيتنا في زي مسكين تُكلِّمنا بكلام الملوك"[١١].

---

(٧) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

(٨) الأمير علاء الدين علي بن بالبان الفارسي، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، جـ٧، ص٤١٠.

(٩) نفس المرجع والمكان، بتصرف.

(١٠) نفس المرجع، ص٣٩٠.

(١١) الدكتور محمد عقيل المهدلي، المرجع السابق، ص١١٢.

فمَنْ أراد أن يقف موقف الواعظ المرشد عليه أن يظهر للناس بثوب الوقار اللائق به في أهل زمانه حيث يظهر في لبسه، وسمته أثر جليل مقام الإرشاد والدعوة إلى الله تعالى: من الأفضل أن يستعمل من الطيب في بدنه وثوبه إن وجد، لأنه ورد أنَّ رسول الله ﷺ كان يحب الريح الطيب، ويعرف بريح الطيب، إذا أقبل". عن عائشة رضي الله عنها أنه كان رسول الله ﷺ يعجبه الريح الطيب. (رواه أبو داود والحاكم)[١٢].

المقومة الخامسة: الوقفة

إنَّ لوقفة الخطيب حال آداء الخطبة أثراً في نفوس السامعين كما لها أثرٌ في نفسه لذلك ينبغي الاهتمام بكيفية وقفته وهيئته عند إلقاء الخطبة. ولذلك يجب أن يظهر الخطيب واثقاً من نفسه ولا سيما خلال اللحظات الهامة التي يقترب فيها من المنصة أو المنبر، الذي سيقف عليه، كما يجب أثناء إلقاء الخطبة، أن لا تتنافر حركات الجسم مع الألفاظ المستعملة في سياق الخطاب، ويحبذ الوقوف بثبات على كلتا القدمين مع جواز الإتكاء على قدم واحدة، لكننا عند ما نفعل هذا نميل أحياناً إلى أن نراوح في وقوفنا من قدم إلى أخرى، وإلى الأمام والخلف دون أن نشعر، ولكن جمهور المستمعين سوف يلاحظ ذلك ويُدركه ويركّز عليه، إن الوقوف بشكل ثابت يجعلنا أقل ميلاً إلى تحويل انتباهنا أو إلى جمهور مستمعينا بحركات مُنفّرة[١٣].

ويجب على الخطيب عند أداء خطبته أن يقف على مكان بعيد مرتفع حتى يتمكّن الجمهور المستمع من رؤيته، ويتمكّن هو بدوره من رؤية الناس؛ لأن تلك الرؤية المتبادلة المستمرة خلال الخطبة بين الخطيب والمستمعين تعتبر من عوامل التأثر والتأثير، وذلك أن المستمع عند رؤية خطيبه يكون قد أشرك في تلقيه الخطبة حاستي **السمع والبصر** وفي إشراكهما أثر في دقة استقبال الأفكار وتثبيتها في العقل واستقرارها في أعماق القلب[١٤].

---

(١٢) أبو داود، سنن أبي داود، جـ٤، ص٧٦، في باب ما جاء في استحباب الطيب.

(١٣) الدكتور يحيى هشام الطالب، المرجع السابق، ص١٥٧.

(١٤) الدكتور نذير محمد مكتبي، المرجع السابق، ص١٢٩.

وعلى الخطيب إذا ما صعد المنبر أن يتريث قليلاً ويحسن به ألا يبدأ الكلام فورًا إلا بعد أنْ يستقر في مكانه وتهدأ نَفْسُهُ وتسكن جوارحه ويسود المكان الهدوء، وتتهيأ أسماع الجمهور وأذهانه لسماعه[١٥]. وإن كان قد سبقه خطيب آخر فإن التريث ضروري حتى يهدأ المكان ويزول صدى الخطيب السابق من الآذان فيتنبه السامعون إلى الخطيب الجديد[١٦]. ولا شك في أن الخطيب إذا ارتاح في وقوفه و لم يحس بتعب أو ضيق استطاع أن يؤدي خطبته على أتم وجه وأحسن صورة.

وإضافة إلى ما ذكرناه ينبغي على الخطيب أن يلتفت حال أداء خطبته إلى اليمين مرة وإلى اليسار مرة أخرى، ليتمكّن من استقبال الجمهور بوجهه في مختلف الجهات ينظر إليهم جميعاً، وكذلك الحاضرون جميعاً أن ينظروا إليه ويبصروه. هناك نصائح متعددة حول كيفية الحفاظ على اتصال بصري جيد مع المستمعين آخذين في الاعتبار التوجيهات الخاصة بغض البصر تلقاء الجنس الآخر، من المهم توزيع النظرات على جميع الحاضرين والتنقل من واحد إلى آخر لا تلق بنظرك فوق مستوى رؤوس الجمهور وتجنب النظرة في الفراغ أو التركيز على نقطة واحدة أو مجموعة معينة فقط[١٧].

المقومة السادسة: الحركة والملامح

يقصد بهما الإشارات التي يمكن أن تشارك مع الكلمات والنبرات كإشارة اليد التي تساعد على تثبيت الكلمات في النفس، لأن النفس إذا كانت طريقه الآذان فالإشارة تُشرك العين مع الأذن في الإحاطة بالمعنى وتصوره. قال الدكتور أحمد محمد الحوفي: الإشارة لغة منظورة أو لغة متحركة مفهومة فإذا اقترنت الإشارة باللغة في موضعها الملائم أثرت تأثيراً عظيماً، وصوت الخطيب مهما تغيرت نبراته ونغماته لا يكفي للتعبيرعن العواطف كلها فلا بد من أن تساعده حركات اليد والرأس والمنكبين وملامح الوجه ونظرات العينين وإشارة الحاجب[١٨].

---

(١٥) نفس المرجع.

(١٦) الدكتور أحمد محمد الحوفي، المرجع السابق، ص٢٧

(١٧) الدكتور يحيى هشام الطالب، المرجع السابق، ص١٥٧.

(١٨) الدكتور أحمد محمد الحوفي، المرجع السابق، ص٢٨-٢٩.

إذن استعمال إشارة اليد تُؤكّد المعنى وأسرار الوجه تكتشف عن أسرار الضمير والخطيب يستطيع أن يُعبِّر بملامح وجهه وتقطب الجبين عن اللذة والألم والرضا والسخط والنفور والميل والسرور والحزن، ويُعبِّر بالعيون عن العواطف المختلفة فيرفعها إلى السمآء في الألم الشديد والدعاء، ويخفضها إلى الأرض في التفكير والحيرة والخشوع والحياء، أو يفتحها عند الدهشة والإعجاب ويطبقها عند التواضع والمسكنة[١٩].

والإشارة مطلوبة في الخطابة لكثرة فوائدها، ولكنها إذا أسرف فيها الخطيب تؤدي إلى خلل، ولذلك لا بد أن يراعي الأمور الآتية:

١) إن الإكثار من الإشارة باليد خطأ وصرف للسامع عن الانتباه، فعلى الخطيب أنْ يقللَ منها.
٢) أنْ تَكونَ ملائمَةً للمعنى المراد، فيأتي بـــها الخطيب في مواضعها الملائمة لها المحتاج إليها.
٣) أَنْ تَكُونَ سابقةً للمعنى، فالإشارة ثم النطق، وإذا جاءت بعد القول فلا فائدة منها، لأنه أبلغ في التعبير من الإشارة.
٤) أَنْ يتذكرَ أنَّ بعض الموضوعات لا تحتاج إلى افتنان في الإلقاء كالمناسبات الصغيرة، وأنْ يكونَ الإلقاءُ والتعبيرُ موافقين لدرجةِ تأثرِهِ، فإذا لم يكُنْ انفعاله قوياً فليتكلّم كما يحس[٢٠].

وغير ذلك من الأمور التي يجب على الخطيب الاهتمام بـــها في استعمال الإشارة والملامح أثناء آداء الخطبة ويستطيع بخبراته أَنْ يُدركَها.

---

(١٩) الدكتور السيد أبو الجود، المرجع السابق، ص٤٨.

(٢٠) الدكتور أحمد محمد الحوفي، المرجع السابق، ص٣٠.

الفصل الرابع

نماذج من الخطب المعاصرة في المناسبات المختلفة

قبل الشروع في تقديم نماذج حية للخُطبِ العصرية في مختلف المناسبات أَودُّ أَنْ أقدمَ الأسس التي يجب على الخطيب مراعاتها في إعداد الخطبة وتكوينها حتى يكون للخطبة وقعها وأثرها الواضح البيِّن في المجتمع ومن ناحية أخرى تجعل من الخطيب خطيباً ناجحاً، وهذه الأسس هي:

١) على الخطيب ساعة إعداد خطبته أن يختار موضوعاً واحداً، وهذا الموضوع يجب أن يعالج موضوعاً من الموضوعات التي تشغل المجتمع، فيتحدث الخطيب في هذا الموضوع ولا يخرج عنه؛ بل يجعله لحديثه "وحدة" من أدلة على آخره ففي المقدمة يُعطى نبذةً صغيرةً ثم يعرض لموضوعه ثم في الخاتمة يتحدَّثُ عن ثمار الموضوع وفوائده التي تعود إلى الفرد والمجتمع... وهكذا.

٢) يجب تقسيم الموضوع إلى مقدمة وخاتمة وبينهما موضوع الخطبة.

٣) يجب أنْ يشتملَ الموضوعُ على عناصر بارزة يجملها الخطيب ثم يقوم بعرض كل عنصر على حدة.

٤) يجب على الخطيب أن تكونَ أدلتُهُ واحدة، وأن يسوقها بأسلوب يُسهِّلُ على المستمعِ فهمَ الموضوعِ واستيعابه.

٥) يجب أن يشتملَ الموضوع على بعض القصص القرآنية أو القصص الإسلامية الصحيحة حتى يكونَ ذلك عاملاً لاستمالة قلوب الجماهير نحوه.

٦) يجب ثبت الأدلة من مصادرها الأصلية خاصة الأيآت القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة.

٧) يجب أَنْ يستقيَ الخطيبُ موضوعَ خطبتِهِ من المصادر الإسلامية ا لصحيحة وأَنْ يبتعد كل البعد عن الروايات والقصص والأسرائليات والحكايات الشعبية التي لا أساس لها من الصحة.

٨) يجب أنْ يستخدمَ الخطيبُ النتائجَ والثمارَ التي مِن أجلها كان موضوع الخطبة.

٩) مراعاة الإخلاص في تحضير الخطبة والاعتماد والتوكل على الله ساعة إلقائها وأدائها أمام الناس.

واللهَ أسألُ أَنْ ينفعَنَا بها ويهدينا إلى الحق وإلى الطريقِ المستقيمِ، إنه نِعم المولى ونِعم النصير، والحمد لله رب العالمين.

١- خطبة الجمعة

أ) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

- الخطبة الأولى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله الذي جعل أمة محمد خير أمة أُخرجت للناس، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الصفات اللازمة للأنبياء والرسل، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفه ربه عز وجل بأنه في قومه يأمر بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرِّم عليهم الخبائث اللهم صلِّ وسلمْ وبارك على محمد وعلى آله وصحبه الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، ومَن دعا بدعوتهم إلى يوم يُبعثُ فيه مَنْ في القبور.

أما بعد، فياعبادَ الله أُوصيكم وإياي بتقوى الله فقد فاز المتقون، قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[١]. وقال أيضاً: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٢]. وقال أيضاً: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[٣].

أيها المسلمون رحمكم الله.

إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما هو القطب الأعظم في الدين والمهمة التي بعث الله لها النبيين أجمعين والأساس الذي بُنِيَتْ عليه الأمةُ الإسلاميةُ والغرضُ المنشودُ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٧١ .

الذي وجدت له، وهو الفارق بينها وبين غيرها من الأمم الأخرى، وهذا يقتضى تنفيذ الشريعة، إذ المعروف الذي أمرالله به إنما هو ما أمر به الشرع والمنكر ما أنكره الشرع من المحرمات[٤]. اعلموا أيها المسلمون أنَّ الشريعة الإسلامية إنما هي كلها مصالح، وكلها رحمة وحكمة، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة إلى المفسدة فليس من الشريعة في شيء، وسنة الله في خلقه أنَّ البشرَ بين صالح وطالح، وبين طيب وخبيث، فيجب على الصالحين أن يبذلوا جهودهم في مجتمعهم بنشاط دائم مستمر فيصلحوا الفاسد ويقوِّموا المعوج، ويأخذون بيد الحائر فيهدونه إلى الصراط المستقيم، والذين ينشرون الفضائل بين الناس ويمحون الرذائل في المجتمع إنَّمَا هم ملح الأرض وبهجة السماء، وهم الذين يُنيرون للناس طريقهم ويهدوهم إلى الصراط السوي، والمجتمع إذا غلب خياره على شراره، ويئس الشر بين أفراده يطيل الله عز وجل بقاءه، على الأرض ويهيئ له فرص التقدم والنجاح والتمكين في الأرض[٥]. قال الله تعالى في كتابه الكريـــم: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[٦].

فالأمر بالمعروف والنهي عن النكر فضيلة محمدية ومزية إسلامية، ومكرمة قرآنية، وهي بعد ذلك كله حق كل مسلم على أخيه في الله والدين. وإذا تقاعس المجتمع فلم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر، وغلب شراره على خياره وعم الفساد وتفشت فيه المنكرات، فقد قضت سنة الله عز وجل أَنْ يَتَدَهْوَرَ ذلك المجتمع شيئاً فشيئاً. لقد قصَّ الله علينا نحن المسلمين أخبار الأمم السابقة التي كانت لا تأمر بالمعروف ولا تنهى عن المنكر، قال الله تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾[٧].

---

(٤) الإمام أبو حامد الغزالي، المرجع السابق، جـــ١، ص١١٨٦.

(٥) إعلام الموقعين، جـــ٣، ص٥ بإيجاز.

(٦) سورة الحج، الآية: ٤١.

(٧) سورة المائدة، الآية: ٧٨.

قال الإمام الغزالي: وأما عن قوله تعالى: ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾ يعني لا ينهي بعضهم بعضا، ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾، روي عن أبي الدرداء ﷺ أنه قال: "لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطنَّ اللهُ عليكم سلطاناً لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم، ويدعوا أخياركم فلا يستجاب لهم ويستنصرون فلا ينصرون ويستغفرون فلا يُغفرُ لهم"(٨). ومن هنا كان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر صفة من صفات أمة الإسلام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإنْ لم يستطع فبلسانه، فإنْ لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"(٩).

فواجب المؤمن هنا أَنْ يحاولَ منع المنكر إما باليد وهذا للمسؤولين من الحكام والرؤساء أو الحكومة، لأنها تملك من القوة ما تستطيع به أن تمنع وأن تغيِّر بسبل متعددة، مثل إصدار قرار يقضي اغلاق الأمكنة التي فيها يُعمل المنكرُ وتعزير مرتكبيه بالعقاب الشديد، وكذلك للشخصيات التي لها مقدرة في منع المنكرات بالقوة. وإما باللسان، هذا للدعاة والخطباء عن طريق دعواتهم وخطبهم أو للشخصيات التي تستطيع أَنْ تمنعَ أو تغيِّر بلسانها مباشرة أو غير مباشر. وإما بالقلب، فهذا واجب على كل مَنْ يرى المنكر أَنْ ينكرَهَ بقلبه، وهو أن يكرهَ المنكر ويكره مرتكبيه كراهةَ القلب.

ومن هنا نستطيع أَنْ نقولَ: إنَّ الإسلام يأمر كلَّ مسلمٍ أَنْ يأمُرَ أخاه المسلم بالمعروف وينهاه عن المنكر، كل في حدود مسؤوليته واستطاعته، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته، الرجل راعٍ ومسؤول عن رعيته، والمرأة في بيتها راعية ومسؤولة عن رعيتها، والإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته"(١٠).

---

(٨) الإمام الغزالي، مكاشفة القلوب، مكتبة عبد الوكيل الرومي، القاهرة، ص٣٨.

(٩) الحديث أخرجه الإمام النووي في رياض الصالحين، برقم ١٨٤، ص٧٠.

(١٠) رواه ابن عمر، وأخرجه الإمام النووي في رياض الصالحين، برقم ٦٥٣، ص٣٠٢.

أيها المؤمنون رحمكم الله.

وحتى يتحقق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان نظام الحسبة في الإسلام وهو من النظم التي جاء بها الإسلام لصالح الفرد والمجتمع وهو أن يحتسب كل إنسان على أخيه، فيأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، كما أمرنا الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[11].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم وتقبَّل مني ومنكم تلاوته وهو السميع العليم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

- الخطبة الثانية

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أَنْ هدانا الله، أشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً رسول الله، اللهم صلِّ وسلمْ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه. أما بعد:

فيا أيها المسلمون، اتقوا الله واعملوا صالِحًا لعلكم تُفلحون. أيها المسلمون وهنا نستطيع أن نلخص ما قدمناه عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١) إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب علينا حسب مسؤوليتنا في المجتمع واستطاعتنا في القيام بهذا الواجب.

٢) وإنَّ الأمة الخيرية التي جعلها الله للمسلمين إنما هي منوطة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١١) سورة النحل، الآية: ١٣٥.

٣) وأنَّ الشريعة الإسلامية جاءت بالأمر والنهي لمصلحة الفرد والمجتمع. وعلينا جميعاً أيها المسلمون أن نقوم بهذا الواجب والصفات اللازمة للأنبياء والرسل، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما رسمه الله لِنبيه محمد ﷺ.

يقول الله تعالى مخبراً وآمراً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[١٢]. اللهم صلِّ وسلمْ على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم ارض عن الخلفاء الراشدين، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن بقية الصحابة والقرابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، آمين يا رب العالمين، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، اللهم اغفر لنا ولجميع المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، إنك سميع قريب مجيب الدعوات، وقاضي الحاجات، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، عباد الله، إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله العظيمَ يذكرْكُمْ واسألوه من فضله يعطِكُمْ، ولَذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأقم الصلاة.

ب) اهتمام الإسلام بالوقاية الصحية

- الخطبة الأولى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله الذي منّ علينا بنعمة الإيمان ورزقنا الصحة والعافية، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمدًا رسول الله الذي جاء بالهدى والموعظة الحسنة، اللهم

---

(١٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٢.

صلّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومَنْ تبعه بإحسان إلى يوم يفوز فيه أهل التقوى وأهل المغفرة.

أما بعد، فيا عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله فقد فاز المتقون، تذكروا قوله سبحانه وتعالى وهو أصدق القائلين أعـــوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[١٣]. صدق الله العظيم.

أيها الإخوة المسلمون، أما الموضوع الذي أريد أن أتحدث إليكم عنه في هذه الخطبة، فهو "اهتمام الإسلام بالوقاية الصحية". إن الإسلام يبني أحكامه على الواقع، والواقع أنه لا علم إلا بالصحة، ولا مال إلا بالصحة، ولا عمل إلا بالصحة، ولا جهاد إلا بالصحة، ولا سعادة إلا بالصحة، فالصحة رأس مال الإنسان وأساس خيره وهنائه، إذا كانت أصول الطب الحديث التي وصل إليها الإنسان بعد التجارب العديدة قد أثبتت أن خير علاج للإنسان هو الوقاية من المرض قبل وقوعه، والمسارعة إلى العلاج منه في أوله وقبل استفحاله، فإنا نجد في القرآن الكريم قبل أن تظهر هذه الأصول الطبية الحديثة وفي إرشادات النبي العظيم صلوات الله وسلامه عليه، ما يؤكد كثيراً من هذه الجزئيات. وفي القرآن والسنة كثير من الأمثلة التي تؤكدها هذه الأصول الطبية الحديثة.

وقد عرض القرآن الكريم للمرض وكان له في تشريعه الذي يعالج به القلوب أعظم إيحاء وأوضح إشارة إلى اتخاذ وسائل الصحية البدنية والوقاية الصحية. حرَّم القرآن الكريم شرب الخمر وأكل لحم الخنـــزير والإسراف في الأكل والشرب وكل ما يؤذي، وأباح الفطر في رمضان للمسافر والمريض محافظةً على صحتهما ووقايةً لهما، كذلك أباح الإسلام لمن خاف المرض أو تأخر الشفاء حين يستعمل الماء أن يتيمم ولا يستعمل الماء وقايةً وحمايةً له من المؤذيـــات. والوضوء الذي تحدَّث عنه القرآن وفرضـــه الله حين قال:

---

(١٣) سورة النحل، الآية: ٩٧.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾[١٤]. هذا الوضوء كما هو واضح من الآية عبارة عن غسل الأطراف والأماكن الظاهرة من جسم الإنسان وهي الأماكن المعرضة للأمراض، هذا الوضوء لا شك وقاية من المرض، ويكفينا من القرآن للتدليل على أنه سبق الطب الحديث بمئات السنين في الدعوة للوقاية واتخاذ وسائل الصحة البدنية والوقاية الصحية والحماية من المؤذيات.

تكفينا هذه الآية الكريمة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[١٥]. فقد أثبت الطب الحديث أن وقت الحيض هو أنسب وقت لانتشار العدوى في الجهاز التناسلي بسبب ما يحدث من الالتهابات التي من طبيعتها تقوية الجراثيم المرضية وإكثارها، كما ثبت أن دم الحيض يقتل مادة التناسل، إذ لا تجد مكاناً صالحاً للاستقرار فيه.

أيها المسلمون رحمكم الله.

إنَّ الحِجْرَ الصِحِّيَّ المعمول به حالياً في البلاد المتقدمة سبق الإسلام إليه دول العالم كلها، ووضع قواعده الرسول العظيم منذ أكثر من ألف وأربعمئة عام حين قال عليه الصلاة والسلام: "إذا سمعتم بالطاعون فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فراراً منه". (رواه البخاري ومسلم عن عامر بن أبي وقاص)[١٦]. وقد نفذ عمر بن الخطاب أوامر الرسول ﷺ في هذا الشأن وهو حاكم للمسلمين وحبس نفسه في بلاد الشام حينما ظهر الطاعون في بعض مدنه ومنع الناس من الدخول إلى مكان الوباء أو

---

(١٤) سورة المائدة، الآية: ٦.

(١٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

(١٦) لابن قيم الجوزية، الطب النبوي، ص٢٨ وما بعدها.

الخروج منه، وامتثل الناس ومعهم الخليفة عمر لحديث رسول الله ﷺ السابق، ولقوله أيضاً: "ما من عبد يكون في بلد فيه الطاعون فيمكث فيه لا يخرج صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد"[١٧].

وحين تصور أحد الصحابة وهو أبو عبيدة بن الجراح أن امتناع عمر عن الدخول إلى مكان الوباء فراراً من قدر الله وقال له: "أفرار من قدر الله تعالى؟" رد عليه عمر وقال: "نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله". (وقد أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه وأحمد).

والمتتبع للسنة الشريفة يرى الكثير والكثير من هذه الأصول الطبية فقد دعا النبي ﷺ إلى الاغتسال الأسبوعي فقال: "الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم، وأن يستن وأن يمس طيباً إن وجد". (رواه البخاري)[١٨]. ودخل رجل عليه وهو منفوش الشعر، فأشار إليه أن يصلح شعره. ثم قال: أما وجد هذا ما يمشط به شعره، وقال بعد أن أصلح الرجل شعره أليس هذا خير من أن يأتي أحدكم ثائر الشعر كأنه شيطان، ولما رأى رجلاً رث الثياب غضب. وقال: أما وجد هذا ما يغسل به ثوبه، ودعوته ﷺ لاستعمال السواك من أجل نظافة الأسنان التي ثبت طبياً أنها تسبب في معظم الأمراض الجسمية يعرفها الكثيرون منها قوله ﷺ: "لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة"، وقال أيضاً: "السواك مطهرة للفهم مرضاة للرب"[١٩]. ومن أعظم ما يقال عن الوقاية من الأمراض قول النبي ﷺ: "اتقوا الملاعن الثلاث، البراز في الموارد، وقارعة الطريق والظل". (رواه أبو داود وابن ماجه عن معاذ رضي الله عنه)[٢٠]. وتنفق وزارة الصحة في كثير من البلاد ملايين (الرنغات والدولارات) في علاج أمراض الإنكلستوما والبلهاريسيا وهي الأمراض التي

---

(١٧) نفس المرجع، ص٣٥.

(١٨) كتاب صحيح البخاري، في كتاب باب الطيب للجمعة، جـ١، ص٢٢٧-٢٢٨.

(١٩) الإمام البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة، جـ١، ص٢١٤.

(٢٠) راجع دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، جـ٨، ص٢٢٧-٢٢٨.

تنقل عن طريق التبول والتبرز في المياه والطرقات وهي الأماكن التي نهى حديث رسول الله ﷺ عن التبول والتبرز فيها.

أيها الإخوة المسلمون رحمكم الله.

إن ترك أواني الطعام والشراب مكشوفةً يتسبب عنه بلا شك سقوط بعض الحشرات المؤذية التي تولّد جراثيم المرض، هكذا أثبت الطب الحديث، ولكن قبل هذا أكثر بمئات السنين قال رسول الله ﷺ محمد بن عبد الله الأمي ابن البيئة الصحراوية: "اطفئوا المصابيح إذا رقدتم وغلّقوا الأبواب وأدكوا الأسقية وخمروا الطعام والشراب"[٢١]. أي غطوا الطعام من سقوط الحشرات المؤذية التي تولّد جراثيم المرض.

ألا تؤكد أيها المسلمون هذه الأمثلة اهتمام الإسلام بصحة الإنسان ورغبته في حفظ قوته وحمايته من المؤذيات واستخراج المواد الفاسدة من بدنه، وسبق العالم الحديث إلى نظريته التي يعتقد أنه مكتشفها، وهي نظرية الوقاية خير من العلاج. فاتقوا الله عباد الله واعلموا أن التشريعات الإسلامية، إنما أراد الله بها خير الإنسان في الدنيا والآخرة، حرصاً على هذا الإنسان ورحمةً به وخوفًا عليه، فآمنوا بالله ربكم وأسلموا له أنفسكم.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الأيات والذكر الحكيم وتقبَّل مني ومنكم تلاوته إنه هو السميع العليم أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه ويا فوز المستغفرين ويا نجاة التائبين.

– الخطبة الثانية

الحمد لله الذي هدانا إلى الصراط المستقيم، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلمْ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين ومَنْ دعا بدعوته إلى يوم الدين.

---

(٢١) راجع كتاب صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب تغطية الإناء، جـ٢، ص٢٥٩.

أما بعد: فيا عباد الله اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يقول الله تعالى في كتابه الكريم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ ﴾ صدق الله العظيم، ونحن على ذلك من الشاهدين. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومَنْ سَار بنهجه إلى يوم الدين، اللهم أرض عن الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن بقية الصحابة والقرابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين آمين يارب العالمين. اللهم ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين. اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا ولا تسلّط علينا بذنوبنا مَنْ لا يخافك ولا يرحمنا، ولِّ أمورنا خيارنا، ولا تولِّ أمورنا شرارنا، برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم اغفرلنا ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنك سميع قريب مجيب الدعوات ويا قاضي الحاجات، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله، إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله العظيم يذكركم واسألوه من فضله يؤتكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وأقم الصلاة.

٢- الخطبة الأكاديمية

دعوة القرآن لاستعمال العقل والتفكر في الخلق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله الذي علَّمنا القرآن والبيان والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جاء بالهدى والفرقان وعلى آله وصحبه أولي الفضل والعرفان ومن دعا بدعوته إلى يوم يفوز فيه المؤمنون بالجنان.

أما بعد: فقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[1].

أيها السادة والإخوة الكرام.

أما الموضوع الذي أريد أن أتحدث إليكم عنه في هذه الفرصة الطيبة فهو: "دعوة القرآن إلى استعمال العقل والتفكر في الخلق وخاصة الإنسان" فهو موضوع له أهمية كبيرة وخاصة في هذا العصر، حيث توجه التهم إلى الإسلام بأن الشريعة الإسلامية، التي مصدرها الأساسي هو القرآن لا تستطيع مسايرة التقدم، وأن القرآن ليس فيه ما يشجع ويدفع الإنسان لاستعمال عقله وخاصة في موضوع الإنسان نفسه. إنه في الحقيقة إذا تصفحنا صفحات القرآن، ولفتنا النظر إلى آياته نجد كثيراً من آياته تدعو إلى التفكر في هذا الكون الفسيح بسماواته ونجومه وكواكبه وأرضه وتلفت النظر إلى هذه المخلوقات من حولنا كما تلفت النظر إلى خلق الإنسان نفسه، وما ذلك كله إلا أدلة مادية ملموسة على إحكام صنعة خالقها والإتقان في تدبيرها وكذلك نجد القرآن يتحدث صراحة عن

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠-١٩١.

إعمال العقل وعن التفكير فيما يعرض عليهم من أدلة مادية ملموسة تقف شاهداً ودليلاً على وجود الله ووحدانيته، فقد ذكرت لفظة "يعقلون" ٢٢ مرة في اثنين وعشرين موضعاً في القرآن الكريم، كما ذكرت كلمة "تعقلون" أربعا وعشرين مرة. والملفت للنظر هو أن ثلاث عشرة آية من هذه الآيات خُتمتْ بقوله: "أفلا تعقلون". وكأنها تدفعهم دفعاً إلى إعمال العقل فيما يعرض عليهم من آيات بينات واضحات.

أما التعبير بـــ"لعلكم تعقلون"، فقد ذُكِرَ في ثماني آيات من سبع سور من سور القرآن الكريم. أما لفظة يعقلون والتي تكررت في القرآن الكريم ٢٢ مرة كما ذكرنا فإن أكثر هذه اللفظة جاءت بعد ذكر الدلائل على وجود الله وإثبات هيمنته وسيطرته على ما في السماوات والأرض، لتدفع مَن تُتلى عليه هذه الآيات إلى النظر في هذه الآيات الواضحة الدالة على قدرة هذا الإله الذي أشرك به كثير من الناس. ولذلك نجد القرآن الكريم في أكثر هذه الآيات القرآنية يقرن لفظة "يعقلون" مع دعوة الناس للنظر في هذه الأدلة التي يعرضها، والتي أطلقت عليها اسم آيات. فيقول: "إن في ذلك لآية لقوم يعقلون" إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون، أو "كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون"[٢].

أما لفظة "تتفكروا ويتفكروا وتتفكرون ويتفكرون" فقد ذُكِرَتْ في القرآن الكريم ثماني عشرة مرة، وكان معظمها أيضاً ختماً لآيات قرآنية اشتملَت على شواهد وأدلة واضحة على وجود المولى سبحانه وتعالى ودليلاً على وحدانيته وتفرده بالخلق. وكانت ست آيات من إحدى عشرة آية ذكرت فيها لفظة "يتفكرون" مقرونة أيضاً بدعوة الناس إلى النظر والتفكر فيما يعرض عليهم من أدلة وشواهد ونِعَمٍ أنعمَ الله بها عليهم في أنفسهم أو سخرها لهم ولمنافعهم، حيث خُتِمَتْ هذه الآيات بقوله سبحانه وتعالى: "إن في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرون" في أربع سور من سور القرآن إضافة إلى قوله تعالى: "كذلك يبيِّن الله لكم آياته لعلكم تتفكرون" أو "أفلا تتفكرون" أو "لعلكم تتفكرون"[٣]. فما هي هذه الشواهد والدلائل التي يطالبنا المولى سبحانه وتعالى بالتفكر فيها وإعمال عقولنا من

---

(٢) راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٣) محمد فؤاد عبد الباقي، المرجع السابق، ص٥٧٥.

أجلها؟ وما هو نوع التفكر الذي يدعونا إليه القرآن الكريم ويحرضنا على استعماله وإعماله؟

ولو علم الناس ما في قرآءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، وقد قيل: "إن قرآءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة خاتمة بغير تفكر وتفهم، لأن هذا أنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن، وهذه كانت عادة السلف يردد أحدهم الآية إلى الصباح. وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قام بآية يرددها حتى الصباح وهي قوله تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٤].

وقد روى أبو أيوب عن أبي حجرة قال قلت لابن عباس إني سريع القراءة إني أقرأ القرآن في ثلاث، قال لأَنْ أقرأ سورةً من القرآن في ليلة واحدة فأتدبرها وأرتلها أَحبُّ إليَّ من أنْ أقرأ القرآن كما تقرأُ. ومن هنا كان التفكر في القرآن نوعان: تفكر فيه ليقع على مراد الرب تعالى منه، وتفكر في معاني ما دعا عباده إلى التفكر فيه وهو الدليل القرآني، والثاني تفكر في الدليل العياني أي (المعاين المشاهد) ويمكن أن نقول: الأول تفكر في آياته المسموعة، والثاني تفكر في آياته المشهودة، ولذا قال العلماء: إن الله أنزل القرآن ليتدبر ويتفكر فيه ويعمل به لا لمجرد تلاوته مع الإعراض عنه[٥].

أيها السادة والإخوة الكرام.

لقد تحدثت الآيات القرآنية الكثيرة كما قلنا في بداية الحديث عن الأدلة المادية الملموسة والمحسوسة في هذا الكون كله، والذي أثبت المولى سبحانه وتعالى أنه قد سخره لنا حين قال: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾[٦] بإضافة إلى إثبات الأدلة على هذا التسخير لكل ما في هذا الكون من ليل ونهار، وشمس وقمر، وبحر وبر،

---

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه بلفظه، وأحمد والنسائي والبيهقي في سننهم وثلاثتهم عن أبي ذر بمعناه الدرر المنثور، للسيوطي، جـ ٢، ص٣٤٩-٣٥٤.

(٥) الدكتور عبد الغفار عزيز، المرجع السابق، ص٢٩٧.

(٦) سورة الجاثية، الآية: ١٣.

وشجر وفلك وأنعام، وغير ذلك، مما يدخل تحت قوله: "ما في السموات وما في الأرض" هذا إضافة إلى إثبات قدرة الله القادر في خلقه للإنسان ودعوته أيضاً للنظر في نفسه والتفكر في كيفية خلقه وإيجاده من عدم، ونجد أن المولى سبحانه وتعالى دعا إلى التفكر في هذا الأمر والنظر فيه في غير موضع من كتابه.

يتحدث القرآن الكريم في آيات كثيرة عن هذا الخلق وعن أطوار هذا الخلق، وتسلسله وعن تسوية الإنسان وتجميل صورته ليخرج في هذه الصورة السوية المعتدلة. وإذا كانت هذه الآيات تلفت الإنسان مجرد التفات إلى قدرة الله الواضحة الظاهرة في هذا الخلق، فإنما هي تدعوه أيضاً إلى أن يفكر في تفصيلات أخرى كثيرة، وأدلة أخرى كبيرة، يستطيع الإنسان أن يصل إليها ما لو أعمل فكره وعقله، بل إن القرآن في بعض آياته يدعو صراحة إلى البحث في أعماق النفس البشرية لإدراك أدلة أخرى ليست معروفة لكل الناس ويكتشفها العقل بين حين وآخر غير الأدلة الظاهرة الواضحة لكل الناس حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾[٧]. ويقول أيضاً: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ ﴾[٨]. ثم هو يتحدث في آيات أخرى عن بعض أسرار النفس الإنسانية وعن أشياء أخرى، لم تكن معروفة في وقت نزوله وإنما أثبت العلم الحديث ليؤكد هذا القرآن إنما هو من عند الله الواحد خالق السماوات والأرض فيقول سبحانه وتعالى: ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾[٩]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا

---

(٧) سورة الذاريات، الآية: ٢١.

(٨) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٩) سورة الطارق، الآية: ٥-٦.

خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ ﴾[١٠].

ثم هو يلفت النظر إلى أن خلقه كان بتقدير، وإن حكمته اقتضت لإيجاد هذا الخلق وجود الزوجين الذكر والأنثى فيقول: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾[١١]. ويقول: ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴾[١٢]. ويقول: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾[١٣]. ويقول: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[١٤]. ثم يتحدث القرآن عن بداية الإنسان وكيف خلقه الله ضعيفاً، ثم صار إلى قوة ثم كيف ينتهي إلى ضعف وشيبة، فيقول: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ ﴾[١٥] وإلى غير ذلك من الآيات القرآنية الكثيرة، التي لا نستطيع عرضها وذلك لقصر الوقت. ولا شك في أننا بحاجة إلى تدبر آيات القرآن الكريم التي يعرض فيها الأدلة الظاهرة الواضحة على إثبات وجود الله سبحانه وتعالى، وإننا في حاجة إلى التفكُّر في معانيها وشرح بعض تفاصيلها حتى نعقلَها ونتفهمَها ونستفيدَ مِنْها وذلك لمصلحة البشر جميعاً ولمصلحة الإنسانية كلها في أجيال متعاقبة إلى يوم القيامة، وهذا الأمر يحتاج إلى وقتٍ وزمنٍ يقول الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ ﴾[١٦].

---

(١٠) سورة الحج، الآية: ٥.

(١١) سورة الفرقان، الآية: ٢.

(١٢) سورة النجم، الآية: ٤٥.

(١٣) سورة التغابن، الآية: ٣.

(١٤) سورة التين، الآية: ٤.

(١٥) سورة الروم، الآية: ٥٤.

(١٦) سورة النساء، الآية: ٨٢.

أيها السادة والإخوان الكرام.

هذا ما وفّقني الله لاستحضاره من إلقاء هذه الخطبة، وقبل الختام أود أَنْ أقدِّمَ جزيلَ شكري إليكم جميعاً على حسن استماعكم ومتابعتكم لهذا العرض السريع وعلى اهتمامكم به.

والله أسألُ أن يهدينا إلى الطريق المستقيم، وأن يوفّقَنَا لما فيه خيرنا وفلاحنا، وأن يرزقنا تلاوةَ القرآنِ وتدبُّر معانيه وتفكُّر مراميه ليزدادَ إيمانُنَا والعمل بما فيه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٣- خطبة في ذكرى ميلاد الرسول ﷺ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً. والصلاة والسلام على الرحمة المهداة والنعمة المسداة، سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومَنْ تبعهم إلى يوم الدين. أما بعد: فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

أيها السادة الفخام والإخوة الكرام.

إننا نعيش اليوم في أعظم ذكرى نعتز بها وفي عيد من أعيادنا الإسلامية نسعد بروحانيته في كل عام مرة، ذكرى ميلاد نبينا محمد ﷺ وعيد إشراقه على هذه الأرض بشرى للناس ورحمة.

اليوم يستعرض مئآت بل ملايين من المسلمين لمحات من سيرة المصطفى، فيجدون فيها المثل الأعلى للكفاح لنصرة دين الله والدفاع عن الحق والدعوة إلى الخير والجهاد في سبيل الله، والحض على الفضائل والاعتصام بها، فإن رسول الله ﷺ هو الأسوة وهو القدوة، وهو الإمام وصدق الله العظيم في قوله: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[2].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

أيها الإخوة الكرام، على حين فترة من الرسل ضلَّ فيها العقلُ البشري الطريقَ السوي، فاتجه إلى كل باطل فصار المجتمع آنذاك مجتمعاً مفكك الأوصال منقطع الأطراف لا ينهض من عثرة إلا ليقع في شر منها؛ قلوب ضلَّتْ ونفوس زلَّتْ[٣].

واتجه البشر إلى عبادة غير الله عزَّ وجلَّ، فمن الناس مَنْ عبدَ الحجرَ، ومنهم مَنْ عبدَ البقرَ، ومنهم مَنْ عبدَ القمرَ، بل وُجدَ مِن البشرِ مَنْ اتجه بالعبادة إلى الإنسان نفسه. ضَلَّ العقل البشري حتى عبدَ الإنسانَ أخَاهُ الإنسان لا يفرِّقُ بين الحي والميت، ولا بين النافع والضار، ولا بين المحيي والمميت، وأصبحت البشرية في ضلال عمياء حتى امتلأت الأرض بالخرافات والأوهام فمن شرك وعصبية إلى استعباد وطبقية، إلى شرب خمر ولعب ميسر ووأد بنات إلى حروب وغارات[٤]. فاستعبد القويُّ الضعيفَ، وصارت الأكثرية عبيدًا للقلة، وإذ بالقلة طبقات يُسخِّر بعضها بعضًا، وغرق الناس في الضلالة حتى ضجت الأرض بما عليها من شرور وبغي وطغيان. فكان الناس يقتلون أولادهم بغير علم ويوئدون البنات خشية العار والفقر، ويجمعون بين الأختين في النكاح وانتشر بينهم الزنا والبغاء والسفاح، والحروب بين القبائل سجال لا تنقطع واللغة التي يتعاونون بها إنما هي السيف والبطش والقوة. هذا هو حال الناس قبل الإسلام جاهلية جهلاء وضلالة عمياء يتخبطون في دياجير الظلام، إنها ظلمات بعضها فوق بعض فكان لا بُدَّ للبشرية من منقذ يأخذها إلى الطريق السوي ويهديها إلى الصراط المستقيم. فكانت عناية الله ولطفه بعباده أَنْ أرسلَ محمدًا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. فكان ميلاد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم رحمة للعالمين حيث كانت رسالته لإخراج الناس من الظلمات إلى النور قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾[٥]. فكان عليه الصلاة والسلام الرحمة المهداة والنعمة المسداه وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[٦].

---

(٣) الدكتور نجاتي علي إبراهيم، صرخات في بيت الله، ص٢٧.

(٤) مجلة نور الإسلام، العدد الثالث، ربيع الأول، سنة ١٣٩٨هـ، ص٩١.

(٥) سورة إبراهيم، الآية: ١.

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

أيها السادة والإخوان الكرام.

جاء محمد ﷺ برسالته فكانت رسالته آخر الرسالآت وكان هو خاتم النبيين والمرسلين. وكان الدين الذي بُعِثَ به إنما هو دين الإسلام وكان الكتاب الذي جاء به محمد ﷺ إنما هو القرآن. جاء علَيه الصلاة والسلام بشريعة مفصلة تدعو إلى كل فضيلة وتنهى عن كل رذيلة، فدعا إلى التوحيد شأنه شأن كل رسول في الدعوة إلى التوحيد، دعا عليه الصلاة والسلام إلى التشريع الصحيح من إقامةِ الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام، دعا عليه الصلاة والسلام إلى العلم ونبذ الجهل، دعا إلى الإخوة ونبذ التفرقة، دعا إلى البشرية نابذاً الظلم والطغيان. وكان أول ما نزل عليه من الآيات: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[٧].

فالله عز وجل بيَّن للبشرية أَنَّ الإنسانُ أخٌ لأخيه الإنسان، لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على الأسود إلا بالتقوى. وكانت التقوى هي المقياس الصحيح الذي تقاس به البشرية، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[٨]. تلك كانت رسالة محمد ﷺ بتشريعاتها الغرآء التي ملأت الأرض نوراً وبهجة وسروراً. فإن جاز للبشرية أن تفرح، وإن جاز لها أن تنعم فلتفرح بفضل الله الذي أرسل إليها محمداً هادياً ومبشراً ونذيراً، يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[٩].

وأخيراً، أيها الإخوة الكرام تعالوا جميعاً إلى أن نقتدي وأن نتأسى برسولنا الكريم الذي نعتز بذكر ميلاده ﷺ، حَيْث إنه أُرسلَ وبُعِثَ رحمةً للعالمين، ومصلحةً للإنسانية كلها، وسعادة الناس في دنياهم وأخراهم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(٧) سورة العلق، الآية: ١-٥.

(٨) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٩) سورة يونس، الآية: ٥٨.

٤- خطبة ذكرى الإسراء والمعراج

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وعرَّج برسوله إلى السماوات العلا إلى سدرة المنتهى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، وأراه ربُّهُ مِنْ آياته الكبرى، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي تشرَّفَ بالعبودية كما تشرَّف بالرسالة العظمى، وعلى آله وصحبه ذوى الهمم الكبرى، ومَنْ دعا بدعوته إلى يوم يفوز فيه المتقون بالجزاء الحسنى والجنة المأوى؛ أما بعد:

فيا أيها السادة والإخوة الكرام.

لقد أرسل الله رسوله محمدًا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وأمره ربُّهُ أَنْ يبلِّغَ رسالته إلى الناس كافةً، حيث أيَّدَه الله بمعجزات كثيرة وعلى رأس تلك المعجزات القرآن الكريم. ولم تقتصر معجزات النبى ﷺ على القرآن وحده، بل كانت له معجزات كونية أظهرها الله على يديه تثبيتًا لأفئدة المؤمنين على الإيمان، ومن هذه المعجزات الخالدة الإسرآء والمعراج.

وقد بدأ الرسول ﷺ تبليغ الدعوة بإنذار عشيرته الأقربين، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]. ولما نزل على الرسول ﷺ قوله تعالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[2]. صعد صلوات الله وسلامه عليه على الصفا وأخذ ينادي القبائل من قريش قائلا: إني نذير لكم بين يدى عذاب شديد، وتوجه إليهم بالدعوة إلى توحيد الله عز وجل. ولما كانت قريش تعبد الأصنام من اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، من هنا وقفتْ لمحمدٍ ﷺ بالمرصاد، فما استجابت لدعوته ولكنها قابلته بالإعراض والإنكار والإيذاء الشديد، فما

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤-٢١٥.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩٤.

كان ﷺ، يجد له عونًا ولا نصيراً بعد الله عز وجل إلا عمه أبا طالب، وزوجته خديجة بنت خويلد. فكانت قريش تهاب أبا طالب، كما تهاب خديجة زوج رسول الله ﷺ ولكنهما ماتا في عام واحد، سمِّي الرسولُ عام وفاتهما بعام الحزن، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام حزن حزناً شديداً على وفاة عمه ووفاة زوجته.

ولما كانت رسالة الإسلام هي الرسالة العامة والخاتمة، وكتابها هو القرآن الكريم الكتاب المهيمن، والمصدق لما بين يديه من الكتب السابقة، من هنا أراد الله عز وجل أن يسري برسوله ﷺ وأن يبين له أن العون والمدد وطلب النصرة لا يكون إلا من الله عز وجل، فإن كنتَ تستعينُ على دعوتك بعمك وزوجك فإني أنا الذي أرسلتك إلى الناس كافة. وعلى ذلك كان أول درس من دروس الإسراء والمعراج التوكل على الله عز وجل وطلب العون والنصر منه سبحانه وتعالى، ومن أجل ذلك أسرى الله برسوله ليلاً من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى بفلسطين، وكان ذلك ليلة السابع والعشرين من شهر رجب من العام الحادي عشر للبعثة النبوية.

يقول المتكلمون في السيرة النبوية عن الإسراء والمعراج، لقد عانى رسول الله ﷺ ألواناً كثيراً من المحن التي لاقاها من قريش، وكان آخر ما عاناه لدى هجرته إلى الطائف لقد ظهر في دعائه الذي ناجى به ربه بعد أن جلس يستريح في بستان بني ربيعة ما يتعرض له كل بشر من الشعور بالضعف والحاجة إلى الشكوة إليه سبحانه وتعالى، والطمع منه في عافيته ومعونته ولعله خشي أن يكون الذي يلاقيه إنما هو غضب من الله عليه لأمر ما، ولذلك كان من جملة دعائه قوله: إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي[٣]. فجاءت ضيافة الإسراء والمعراج من بعد ذلك تكريماً من الله تعالى، وتجديداً لعزيمته وثباته، كما جاءت دليلاً على أن هذا الذي يلاقيه عليه الصلاة والسلام من قومه ليس بسبب أن الله قد تخلى عنه أو أنه غضب منه، وإنما هي سنة الله مع محبيه ومحبوبه، وهي سنة الدعوة في كل عصر وزمن[٤].

---

(٣) دعاء الرسول بكامله، انظر كتاب السيرة النبوية لابن هشام في باب الإسراء والمعراج.

(٤) الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة النبوية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١١، ١٩٩١م، ص١٢.

أيها المسلمون رحمكم الله.

لقد كان الإسراء والمعراج حقاً حدثاً عظيماً ومعجزة جليلة للرسول ﷺ، وكانت حلاً فاصلاً بين العهدين، عهد تألبت فيه قوى البشر والبغي على رسول الله ﷺ، وعلى مَن آمن بدعوته بالإيذاء الشديد، والعهد الثاني عهد جديد سيتقبله المسلمون عما قريب، عهد جهاد وكفاح ونضال وتضحية وصبر وفداء، هذا العهد الذي سيبدأ بهجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة المنورة.

وفي رحلته القدسية الأرضية وعروجه إلى السماوات العلى، حيث لحظة القرب والتجلي رأي الرسول الكريم أيات من أيات ربه الكبرى أيات تحض على الخير وأيات كذلك تُبعدُ عن الشر. ولقد شاهد الرسول ﷺ في مرآه جملة من المشاهد والأمثال، كان لها الأثر الكبير، وكان فيها العظة والعبرة لأمته، فكان النبي ﷺ في مرآه يرى المشهد العجيب فيستفسر عنه من جبريل فيجيبه إجابة الحكيم المخبر عن رب العالمين ليكون من وراء ذلك العظة والعبرة. لقد كان معجزة الإسراء والمعراج بداية انفتاح الدعوة الإسلامية على مشارق الأرض ومغاربها، فأسرى الله بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السماوات السبع العلا، رحلة فى ليلة واحدة طاف فيها الرسول ﷺ بأماكن ما كان له، إلا بأمر من الله مقدرة أن يطوف بها.

وتستيقظ قريش ذات صباح لتجد الرسول ﷺ يخبرها بأنه أسري به الليلة البارحة من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بفلسطين، وإلى السماوات العلا، فكان منهم المؤيِّد والمعارض. ووقفتْ قريشُ كلها تكذِّب الرسولَ ﷺ وذهبوا إلى أبي بكر الصديق صاحب رسول الله ﷺ وقالوا له: ما بال صاحبك يحدثنا بهذا الحديث، ألا يعلم أن الإبل تقطع الطريق في شهر وتعود في شهر آخر، فهل تصدقه في هذا لخبر؟ فقال: إني لأصدقه في الخبر يأتيه في ساعة من ليل ونهار أفلا أصدقه في ذلك ولذلك سمي الصديق صديقاً. وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾[٥].

---

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٦٠.

أيها السادة والإخوة الكرام.

لقد جسَّدَتْ لنا ليلة الإسراء والمعراج مشاهد وأمثال على لسان الصادق المصدوق ﷺ، هدفت إلى إصلاح المجتمع المسلم ومحاربة الأوضاع الفاسدة، ليصبح مجتمعاً مثالياً يقتدي به كل الناس في سائر المجتمع. وليس هذا فحسب هو ما يتصل بتلك الليلة المباركة من المعاني، وإنما نحاول أن نوجز الحديث لنعي أكبر قدر منه، وحسبنا من تلك الليلة أن الله اختارها ليفرض فيها على هذه الأمة فريضة الصلاة، حين دنا رسول الله ﷺ من حضرة ذي الجلال، فأوحى إلى عبده ما أوحى، ورأى من آيات ربه الكبرى، وفي هذا المجال الرباني الذي يفيض رحمة وعظمة فرضت الصلاة عليه، وعلى أمته خمساً في العدد وخمسين في الأجر على ما حدثنا به رسولُ الله ﷺ.

ولا تسعنا الفرصة للتكلُّم حول حكمة الصلوات الخمس لضيق الوقت، ويكفينا أنْ نقولَ: إن الصلوات الخمس تحتوي على حكم كثيرة منها ما قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾[٦]. والصلاة هي الزاد الأعظم لنيل السعادة في الدنيا والآخرة. انتهزوا أيها الإخوة المسلمون لتقدِّموا لأنفسكم خيرًا واحرصوا على إسلامكم، لأنه أمل نبيكم ودعوته الخالدة إلى الناس كافة، وإليكم خاصة، والله يتولى توفيقنا إلى الخير وهدايتنا إلى سواء السبيل، وشكراً جزيلاً على حسن اهتمامكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(٦) سورة العنكبوت، الآية: ٤٩.

٥- خطبة ذكرى الهجرة النبوية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله الذي أمر رسوله بالهجرة من مكة إلى المدينة فكانت الهجرة نصراً وعزاً وفخراً للإسلام، والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ذوي الهِمَمِ، ومَنْ دعا بدعوته إلى يوم يدخل فيه المؤمنون الجنة بسلام.

أما بعد: فيا أيها السادة الأعزاء والإخوة الكرام.

في تاريخ الأمم أحداث تطرأ عليها ويكون لها أثر بالغ في تطور حياتها وبقدر ما يكون لهذه الأحداث من أثر يكون شأنها وخطرها، والمجتمعات لا يمكن أن تعيش في ضعف أبداً ولا يمكن أن تحيا مغلوبة على أمرها دائماً، فالضعف ليس من صفات الإنسان الكامل والذل يأنفه الرجل الفاضل، ولأن الإسلام لا يرضى لأبنائه حياة الضعف والهوان فهو ينعى أيضاً الإخلاد إلى الأرض والتعلق بها والرضا بالواقع والاستسلام للظلم والأذى. لذلك نرى القرآن الكريم يسجل بسوء العاقبة على مَنْ يرضون بالحياة الذليلة فيقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾[1]. إن من الأحداث التي أثَّرتْ في مسار الدعوة الإسلامية وغيَّرَتْ من وجه التاريخ هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٧-١٠٠.

أيها الإخوة الكرام.

في هذا الشهر الكريم تحتفل الأمة الإسلامية بذكرى هجرة الرسول ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وقد أفاض الله بها على الإنسان بنعم لا تُحصى ولا تُعد، فإنَّ النعمة الكبرى من الله سبحانه وتعالى إلى الإنسان هي نعمة الإسلام. والإسلام أكمل دين جاء لتمكين العقيدة وتثبيت هذه المبادئ السليمة، كما جاء بالأحكام التي تحفظ كيان الأسرة وغيرها، وتنظيم المعاملات وتصنع القوانين التي تُصلحُ المجتمعات وتبيِّن حقوق الأفراد والجماعات[٢].

وقد شاء الله عز وجل أن يكون محمد ﷺ خاتم الأنبيآء والمرسلين، فأرسله ربُّهُ وأمره بأنْ يدعوَ إلى الحق وإلى الطريق المستقيم، فأخذ ﷺ يدعو إلى الله سراً وجهاراً ليلاً ونهاراً، حتى أوذي الأيذاء الشديد من الأهل والأقربين، حتى وصل الإيذاء إلى نفسه الكريمة، واستمر هذا الإيذاء مدة ثلاث عشرة سنة والله تبارك وتعالى يقـــول له يا محمد: ﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً ﴾[٣]. ويقـــول: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً ﴾[٤]. ويقـــول: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾[٥]. وكان ﷺ إذا سمع بأناس قدموا إلى الجزيرة العربية ذهب إليهم وعرض الإسلام عليهم، ومع ذلك كان كفار قريش يؤذونه ويسخرون منه ويسلط بعضهم بعضا عليه، يريدون إيقافه وصرف الناس عنه فأصيب كثيراً باليتم من قومه كما أصيب صغيرا باليتم من أبويه[٦]. حين أذن الله لنبيه محمد ﷺ بالهجرة من مكة إلى المدينة وكان ذلك بعد ثلاث عشرة سنة من بعثة الرسول ﷺ. هاجر النبي ﷺ، وخرج من مكة المكرمة، وهي أحب أرض الله تعالى إليه

---

(٢) الشيخ سليمان حسن بن عبد الوهاب، زاد الخطباء، القاهرة، جـــ٢، ص٦٩.

(٣) سورة المعارج، الآية: ٥.

(٤) سورة المزمل، الآية: ١٠.

(٥) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

(٦) نور علي نور، المنبر الحديث، جـــ١، ص١٤٣.

لأن بها البيت الحرام، ولأنها منـــزل الوحي، ولأن بها الأهل والأقربين، وأن بها مآثر إبراهيم، ولكنه انتقل مع كل هذا إلى المدينة المنورة، وما كان ذلك إلا لأنه بأمر من ربه. أنشأ دولة الإسلام، ولأنه ما جاء كرهبانية أو روحانية مجردة أو لتهذيب النفوس فقط، بل بعث رحمة للعالمين، ولا بد من أن تقوم دولة تقيم الحق وتخفض الباطل وتمنع الظلم وتجمع الإنسانية وتنشر التعاون بين الناس وتمحو كل الفوارق التي تجعل بعض بني الإنسان يتحكم في الآخر، وتمنع الفساد في الأرض[٧].

إذا أمعنا النظر قليلاً في حادث الهجرة وسألنا أنفسنا، هل هذه الهجرة فراراً من الموت أو طلباً للنجاة؟ كانت الإجابة الفذة: كلا، بل إنها كانت انتقالاً بالعقيدة من وطن كثر فيه الباغي، وقل فيه الناصر، إلى وطن آخر تأمن فيه على نفسها ويستطيع المؤمنون أن يجدوا تربة طيبة فيغرسوا فيها شجرة التوحيد. لم تكن الهجرة فراراً، بل كانت انتصاراً، لأنها كانت انتقالاً بالدعوة إلى آفاق واسعة، وإلى مجال تستطيع فيه أن تنمو وتنتشر، وأن تثبت هدايتها إلى الناس في مشارق الأرض ومغاربها، حتى تعلو كلمة الله وتسود رايته وينتصر جنده، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[٨]. وبالهجرة إلى المدينة أعز الله الإسلام، فامتد شعاعه إلى الآفاق كافة.

أيها الإخوة الكرام.

وإذا كنا بصدد الحديث عن الهجرة فالحديث عنها طويل، والقصة موجودة في كتب السنة والسيرة، ولكن موضوعنا هذا لا نستطيع إلا أن نأخذ العبر والدروس، قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[٩].

---

(٧) الإمام محمد أبو زهرة، خاتم النبيين، المجلد الثاني، جـــ٢، ص٥٩٣.

(٨) سورة الصافات، الآية: ١٧١-١٧٣.

(٩) سورة يوسف، الآية: ١١١.

وحديث الهجرة نأخذه من القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[١٠].

أول درس نأخذه من الهجرة النبوية، إن الهجرة كانت إعلانًا لقدرة الله عزَّ وجلَّ وبياناً شافياً، أن قدرة الله فوق كل القدرات وإرادته فوق كل إرادة، فها هي قريش برجالها وفتيانها تتحدى محمداً وقد آذته الإيذاء الشديد حتى وصل بهم إلى أنهم أرادوا الفتك به وقتله قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[١١]. أرادت قريش أن تفتك بالنبي ﷺ بأي صورة من الصور فبيَّن الله لعباده وللناس جميعاً بياناً واقعياً، أن مَنْ كانَ مَعَ الله كان الله معه.

أيها الإخوة المسلمون رحمكم الله.

وحتى نفهم أن قدرة الله فوق كل قدرة، وإرادته فوق كل إرادة، فلننظر إلى ما حدث في الهجرة، فها هي قريش قد أجمعت خيار فتيانها وشبابها ووقفوا ينتظرون الرسول ﷺ لم وهو خارج إلى المدينة ليقتلوه، كما اتفقوا ولكن الله عز وجل أمر نبيه محمد ﷺ أن يهاجر في تلك الليلة وكان الوحي الذي جاء به جبريل وقال يا محمد: لا تبت هذه الليلة على فراشك التي كنت تبيت عليه وأن ينام علي بن أبي طالب مكان رسول الله ﷺ[١٢]. ويخرج الرسول والقوم كلهم قد أحاطوا بداره وأمره الله عز وجل أن يأخذ حفنة من التراب ويحثيها على وجوههم جميعاً، وهو يقول كما سجَّل القرآن

---

(١٠) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(١١) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

(١٢) ابن هشام، السيرة النبوية، بيروت لبنان، دار المعارف، ص٤٩٢. وانظر فقه السيرة، للبوطي، ص١٤٠.

الكريم: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾[١٣]. ثـــم انظروا أيها الإخوة المسلمون إلى قدرة الله وعنايته بنبيه محمد ﷺ حينما دخل الغار غار ثور، والقوم ما زالوا يتربصون ويبحثون عنه في كل مكان حتى يصل إلى الغار.

انظروا إلى قدرة الله حينما تكفل بعناية حبيبه ومصطفاه فيأمر العنكبوت أن تنسج خيـــوطها حول الغار، ويأمر الحمام أن تبيض على خيوطها وتأتي قريش فيقول أبو بكر للرسول ﷺ: "والله لو نظر أحدهم إلى موضع قدميه لرآنا"؛ فيطمئنه الرسول ويقول: "يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما. يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا"؛ وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾. فالعنكبوت تنسج خيوطها، والحمام تبيض، وأعين الكفار عليها غشاوة. ثم انظر إلى قدرة الله وعنايته التي أخذت تلحظ النبي ﷺ وتظله وترعاه حينما ذهب سراقة بن ملك بن جعشم في أثرهما حينما علم أن قريشا قد رصدت مئة من الإبل لمن يأتي بمحمد حياً أو ميتاً، فركب جياده حتى إذا دنا من الرسول وصحبه فإذا بجواده ينكب بصدره على الأرض ويأخذ الرعب بألباب سراقة فينادى على رسول الله ﷺ، الأمان يا محمد، فيؤمنه رسول الله ﷺ فيسأل رسول الله هل لك حاجة من طعام أو شراب فيقول له الرسول لا حاجة لنا، ولكن عمِّ عنا عند الطلب وقد لام أبو جهل سراقة على ترك النبي ﷺ دون أن ينال منه[١٤]. فَمَنْ الذي أنزل بسراقة وجواده كل تلك المخاطر، وَمَنْ الذي سرى عنه، إنها قدرة رب العالمين.

ويتجلى نصر الله لنبيه وعنايته به حينما يدخل المدينة، وفي المدينة المنورة يستقبله أهلها بلغة لم يكن لديهم أحسن منها يستقبلونه بجو من النشوة والشعر ناشدين: "طلع البدر علينا، من ثنيات الوداع، وجب الشكر علينا، ما دعا لله داع، أيها المبعوث فينا، جئت بالأمر المطاع ..." إلى آخرها[١٥]. فإذا كان أهل مكة قد حاربوه فها هي المدينة

---

(١٣) سورة يس، الآية: ٩.

(١٤) نور الإسلام، العدد الأول، السنة الرابعة والخمسون، محرم ١٤٠٦هـ، ص٢٩.

(١٥) ورد هذا النشيد في كل كتب السيرة النبوية فليراجع لمن أراد أن يطلع عليه بكامله.

بأهلها كهولها وشبابها وصبيانها وغلمانها تستقبله وهناك يبدأ الرسول الكريم في تأسيس دولة الإسلام على التعاون والتقوى والبر والعدل والإيمان والإحسان.

إن ذكريات الهجرة تفد علينا وداخل إطارها صور للشرف العالي والتضحية الكريمة، تعرض علينا نماذج رفيعة للأمانة والوفاء والشجاعة والإصرار على مرضاة الله، مهما يجد الإنسان من مشاق تفد علينا لتعلمنا أن الأمم بحاجة إلى أن ترخص مالها وروحها في سبيل عقيدتها وفي سبيل حرية بلادها.

فهذه الهجرة تطل على المسلمين، وتهيب بـــهم في قوة وشدة أن اثبتوا مكانكم وكافحوا أعداءكم وحرروا أوطانكم وعيشوا أحراراً في بلادكم وأزيلوا آثار العدوان عن كل بقعة من أرض الإسلام، لنتعلم من الهجرة صناعة التضحية والوفاء والإيثار وصناعة الخلق الرفيع، لنصنع ما صنع أسلافنا من إبائهم للضيم، ومن رفضهم للمذلة، ومن ثورتهم على العدوان والمعتدين، لندرس سيرة أجدادنا الذين حرصوا على الموت أشد من حرصهم على الحياة، فأعزهم الله وكتب لهم النصر في هذه الحياة والفوز المبين يوم يلقونه في جنات النعيم قال رسول الله ﷺ: "لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا". (رواه البخاري ومسلم).

والله أسالُ أن يوفِّقَنا جميعاً لما فيه خيرنا وفلاحنا وأن ينصرنا على أعدائنا وأن يؤلِّف بين قلوبنا وأن يهدينا إلى الصواب والحمد لله رب العالمين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٦- خطبة عيد الفطر

الخطبة الأولى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الله أكبر (تسع مرات).

الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً، لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد. ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾[1]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين.

أما بعد: فيا أيها العائدون، اتقوا الله واعملوا صالحاً لعلكم تفلحون، تذكروا قوله سبحانه وتعالى وهو أصدق القائلين، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[2].

أيها المسلمون، هذا اليوم من أيام الله المباركة جمعكم في صباحه المبارك على طهارة وتقوى بعد أن أديتم فريضة الصوم خلال شهر مضى بحمد الله، وأنتم في هذا الصباح تضعون يدكم في يد الله تتسلمون منه جائزة التوفيق في صوم رمضان وتمارسون فرحتكم

---

(١) سورة الروم، الآية: ١٦-١٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

الخالدة التي أنعم الله بها عليكم عن جدارة واستحقاق، فهنيئًا لكم ما صمتم وما أفطرتم وهنيئًا لكم إقبالكم في هذا الصباح على تكبير الله وشكره وإنه لأمر عظيم الحكمة أن يجعل الله سبحانه شعار العيد هذا التكبير الذي ترتفع به أصوات المؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها، الجميع هتافهم واحد، ووجهتهم واحدة وإحساسهم بالرضا واحد، ودعواهم إلى الله سبحانه وتعالى حاملة أسمى معاني الخضوع لجبروته والإذعان لحكمه وتقديره، وليس كهذا الشعار تعبير عن إيمان الأمة بربها في يوم عيدها المبارك، وذلك اختيار من الله سبحانه حينما خاطب عباده بقوله: ﴿ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾. ولعل من أعظم ما امتاز به هذا الصباح أن الدعاء فيه متقبل مستجاب، فقد عقب الحق سبحانه على مشروعية التكبير لاستقبال العيد بقوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[٣].

وليس ترتيب الآيات على هذا النحو بخال من الحكمة، وإنما هو ترتيب يعبِّر عن استحقاق الداعين، لأن يستجيب الله لهم، أليسوا قد صاموا الشهر كله وقاموه؟ أليسوا قد أحسنوا إلى أنفسهم حين عصموا جوارحهم من ارتكاب المعاصي؟ أليسوا قد لبُّوا نداء الله سبحانه حين هبوا من رقادهم اليوم مكبرين مهللين حامدين شاكرين؟ ثم أليسوا قد فرغوا من توزيع زكاة فطرهم قبل أن يغدوا إلى مصلاهم،

فجبروا الكسير، وواسوا المكلوم، وأسعدوا البائس الفقير؟ ثم أليسوا قد تعاونوا بهذا التصرف الجماعي البار على القضاء على صورة الفاقة في صبح عيد الفطر؟ إنهم بهذا جديرون أن يستجاب لهم إذا ما دعوا الله سبحانه وهو قريب منهم، وما عليهم أن يقدموا بين يدي طاعتهم ما يريدون من مطالب لا يقدر عليها سوى الله القادر الحكيم، وهي

---

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

مطالب منبعثة من قلوب مؤمنة وأفواه نقية ومشاعر تقية وتلكم هي شرائط الدعاء المستجاب.

أيها المسلمون رحمكم الله، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

هذا هو أول معنى يخطر للمرء حين يفكر في العيد ومفهومه الإسلامي، والمعنى الثاني الذي نلحظه فيما سنه الإسلام من أعياد لهذه الأمة، أنه ربط العيد بمناسبة عامة، هي الفراغ من أداء عبادة شاقة وهذا الربط ذو مغزى عميق يتصل بنظرة الإسلام العامة إلى العيد، فليس العيد في نظر الدين تمجيدًا لشخص مهما عظم، ولا هو مرتبط بمناسبة دنيوية مهما كانت، ولو كان من مبادئ الإسلام تمجيد الأشخاص، لكان ميلاد محمد ﷺ عيداً للإنسانية يدعو إليه الإسلام ولكان يوم مبعثه عيداً، ولكان يوم انتصاره على أعداء الدعوة في بدر أو في فتح مكة عيداً كذلك، وإن كانت هذه كلها مناسبات تاريخية عظيمة لا يقصد تمجيدها تقديس شخص الرسول بقدر ما يقصد إلى إحياء معاني الكفاح، والاحتفاء بقيم الإيمان والتاريخ، لأبرز مناسبة في عمر هذه الدعوة الخالدة، فإن الإسلام برغم روعة معانيه لم يرد لهذه الأمة أن تدور أعيادها حولها، فالأعياد التي تدور حول أشخاص المصلحين قد تدوم في حياتهم أو في حياة أنصارهم ولكنها لا يكتب لها الخلود، فقد يأتي الخلف لينقض ما سنه السلف، وليس من شأن الدين أن يصرف عواطف المؤمنين إلى تقديس فرد، بل هو يدعوهم إلى توحيد الله، والله وحده هو الحق بالتعظيم والتمجيد والتقديس وينبغي أن تدور أفكار المؤمنين وعواطفهم وحياتهم وعبادتهم في هذا الفلك العظيم كما قال سبحانه تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[٤].

---

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢-١٦٣.

فالمؤمن في الواقع في شغل شاغل عن معاني الدنيا بمعاني الآخرة بكل ما يقربه من الله سبحانه فهو إذا صام صام لله، وإذا عيَّد عيد لله، وإذا حجَّ حج لله وإذا زكّى زكّى لله، وإذا صلّى صلّى لله لا شريك له، والله يرصد له حسناته جميعاً حتى الخطوة التي يخطوها في سبيله والكلمة التي يقولها، أمراً بمعروف أو نهيا عن منكر، وصدق الله العظيم: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[٥].

والمؤمن في فكر دائم فيما يقرِّبه من رضوان الله، فإذا صادفه التوفيق في عبادته، كان له أن يفرح بما آتاه الله من فضله ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ﴾[٦]. إذ ليس في حياته ما يفرح له سوى أن يحس بأنه أدى واجبه وامتثل أمر ربه. فالعيد إجازة ربانية يستريح خلالها المؤمن من مشقة الرحلة التعبدية من صيام أو حج إلى بيت الله الحرام. الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

أيها المسلمون رحمكم الله.

من أجل هذا ينبغي على كل منا أن يكون احتفاله بالعيد موصولاً بمعاني الآخرة، غير مقتصر على مظاهر التسلية المؤقتة وليس معنى هذا أن نمنع أولادنا من ممارسة بعض صنوف اللهو البريء، وبخاصة ما يتصل بتربية ميول الخير والشجاعة في أنفسهم، بل إن لهم أن يعيشوا أوقاتا في المرح النقي، لأن ذلك يريح أنفسهم ويرطب جو الحياة حولهم، ويعينهم على تمثل أوامر الدين في كل حال، غير أن من الضروري أن نواجه تصور مجتمعاتنا الحديث لمعنى العيد، وهو تصور خاطئ متنافٍ مع تعاليم الإسلام، فمن الشباب

---

(٥) سورة التوبة، الآية: ١٢٠-١٢١.

(٦) سورة النحل، الآية: ١٢١.

من يفهم العيد على أنه انطلاق للغرائز المكبوتة وممارسة للفوضى السلوكية في غير تحرج أو حياء وتجاوز للمألوف من العادات والتقاليد الموروثة التي تعد بحق أهم سمات مجتمعنا الإسلامي. وقد أعان الشباب على هذ التصور المريض لمعنى العيد ما تنقله الصحافة ووسائل الإعلام المختلفة من ألوان الاحتفال بالعيد في بعض بلاد أوروبا، فالعيد هنالك غير العيد هنا، المناسبة مختلفة والتقاليد مختلفة، والمثل مختلفة كذلك، فإذا ما عرفنا أن بعض البلدان تحتفل بعيد من أعيادها بأن تجتمع الفتيات والفتيان في ميدان عام للرقص واللهو والاختلاط غير المقيد، فإن المجتمع كهذا تقاليده وشعاراته التي تنتمي إلى عادته وسلوكه.

أما نحن في شرقنا الإسلامي فإن ديننا ليس مناسبة تاريخية أو وثنية بل هو أمر ديني، ومن ثم وجب أن يكون احتفالنا به على شرط الدين الذي لم يتزمت في تكليفنا و لم يفرط في توجيهنا: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[٧].

كل منا أيها المسلمون رقيب على أولاده، وراعٍ ومسؤول عن رعيته، وإنك لتستطيع منذ البداية أن تغرس في ولدك بعض العادات السلوكية التي تترسب في تصرفاته، ليشبّ على احترام دينه، والحرص على سلامة مجتمعه، ومن ذلك أن تأخذه بيده إلى المسجد ليشهد تكبير المسلمين عقب الصلوات، وأن تصحبه في جولة خلال الأحياء الشعبية ليبحث بنفسه الأطفال الصغار المحرومين ممن هم في مثل سنه فيشهد بعينيه حاجتهم، ويداوي بنفسه فقرهم، ويمنحهم ما يستغنون به في ذلك اليوم المبارك، ويمسح العبوس والكآبة من ملامحهم لتعود البسمة إلى شفاههم الذابلة.

إن رحلة كهذه ضرورية لكل طفل من أطفالنا ولو مرة في السنة أو مرتين، وهي في الواقع أشد تأثيراً في الواقع مما قد تقوم به المدرسة في عام كامل، إنها تغرس في قلبه محبة بني وطنه ممن هم دونه قدرة واستعداداً، فالوطن وطن الجميع، وخيره لا بد أن يكون شركة

---

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

بين الجميع، وقد جعل الله القادرين من الأغنياء خلفاء عنه في تصريف ما بأيديهم من نعمة على أصحاب الحقوق عليها: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾[٨].

أيها المسلمون، بقي أن أحدثكم عن صورة هذا العيد كما أخبرنا بها رسول الله ﷺ، لقد حدثنا وهو الصادق المصدوق عن هذا اليوم على أنه حفلة مقامة بين السماء والأرض تشترك فيها الملائكة من الملأ الأعلى والطائعون من عباد الرحمن، وهي حفلة يقدِّم فيها الصائمون محصول عبادتهم طيلة شهر رمضان ويقدم الله لهم خلالها جائزة التوفيق في عملهم. فالأفراح في الأرض والأفراح في السماء، كما أخبرنا رسول الله ﷺ في حديثه "عن سعد بن أوس الأنصار عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا اغدوا يا معشر المسلمين إلى رب كريم يمنُّ بالخير ثم يثيب عليه الجزيل، لقد أُمرتم بقيام الليل فقمتم، وأُمرتم بصيام النهار فصمتم، وأطعتم ربكم، فاقبضوا جوائزكم، فإذا صلوا نادى منادٍ ألا إن ربكم قد غفر لكم، فارجعوا راشدين إلى رحالكم، فهو يوم الجائزة، ويسمى ذلك اليوم في السماء يوم الجائزة". (رواه الطبراني في الكبير).

هكذا أيها المسلمون العائدون معاني العيد بالنسبة لنا نحن المسلمين، وعلينا جميعاً أن نستفيد من هذه المعاني لتكون حافزة للعمل على ازدياد الطاعة والعبادة والعمل الصالح شاكرين حامدين له لما منّ علينا من هذه المنن، ولا نجعله فرصة للهو والنسيان، وأنه اطلاقًا للغرائز المكبوتة وممارسة للفوضى السلوكية في غير تحرج ولا حياء، أو إنها للتفاخر باللباس الفاخرة وغيرها من الأعمال التي لا يرضاها الله وفي رواية قال: "ليس العيد باللباس الجديد - وإنما العيد بالطاعة تزيد".

---

(٨) سورة الذاريات، الآية: ١٩.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم وتقبَّل مني ومنكم تلاوته إنه هو السميع العليم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين، ويا فوز المستغفرين ويا نجاة التّائبين.

الخطبة الثانية لعيد الفطر

الله أكبر (سبعًا).

الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا وسبحان الله بكرة وأصيلاً لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد. الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي جاء بشيراً نذيراً، اللهم صلِّ وسلِّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته إلى يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير.

أما بعد، فيا أيها المسلمون اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، تذكروا قوله سبحانه وتعالى وهو أصدق القائلين: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[9].

يقول الله تعالى مخبرًا وآمرًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[10]. اللهم صلِّ وسلِّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم ارض عن الخلفاء الراشدين أبي بكر عمر وعثمان وعلي، وعن بقية الصحابة والقرابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو

---

(٩) سورة النور، الآية: ٥٥.

(١٠) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

عصمة أمرنا، وأصلح [illegible] وأصلح [illegible] التي فيها معادنا، وأجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، اللهم ادفع عنا الغلاء والوباء والفواحش ما ظهر منها وما بطن عن بلدنا هذا خاصة، وعن بلاد المسلمين عامة برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا ولا تسلّط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا يارب العالمين، اللهم اغفرلنا ولجميع المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنك سميع قريب مجيب الدعوات ويا قاضي الحاجات، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. وتوفنا مع الأبرار يا عزيز يا غفار، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٧- خطبة عيد الأضحى

الخطبة الأولى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الله أكبر (تسعًا).

الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد. الله أكبر ما أشرقت شمس هذا اليوم الأغر إلى يوم الدين. الله أكبر ما ارتفعت حناجر المسلمين بالدعاء في هذا اليوم الميمون. الله أكبر ما لبَّى الملبون وطاف الطائفون وأهدى المضحون. الله أكبر ما سعى الحجيج بين الصفا والمروة وذكر الذاكرون. الله أكبر ما عنت الوجوه للحي القيوم. الله أكبر ما سعت الأقدام لزيارة سيد الأنام الله أكبر ولله الحمد.

الحمد لله وحده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلِّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فيا عباد الله، اتقوا الله وأحسنوا إن الله يحب المحسنين، يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1].

---

(١) سورة الحج، الآية: ٣٦-٣٧.

أيها المسلمون رحمكم الله.

هذا يوم عيدنا قد وافانا في صباح مبارك، نرجوا من الله أن يفيض علينا من فضله وإحسانه ما تسعد به قلوبنا وتقر أعيننا. وقد جرت إرادة الله في سن أعياد المسلمين على حكمة ارتبطت بها، وفلسفة قامت عليها هي أن يجعل العيد عقب فراغ المؤمنين من أداء فريضة معينة، فعيد الفطر يأتي في أعقاب أداء الأمة الإسلامية لفريضة الصوم، وعيد الأضحى يأتي في أعقاب أداء المؤمنين لفريضة الحج وتمتعهم بزيارة قبر الرسول ﷺ، وهكذا يحس المؤمنون بمعنى العيد، أنه وقفة يسيرة بعد رحلة شاقة، وأنه فسحة طيبة للبدن، بعد أن خاض غمار عبادة مضنية، وأنه جائزة الحق سبحانه وتعالى لمن استجاب لله وللرسول، ومن الطبيعي لمن كُلِّف بأداء عمل شاق أن يأخذ بعد أدائه هدنة يريح فيها نفسه ويتذوق خلالها طعم السعادة بأداء الواجب على حين قصَّر آخرون، فلم يبلغوا هذا المستوى الرفيع، ولا طعموا تلك السعادة النفسية.

غير أن الدين الذى شرع لنا هذا العيد لم يجعل منه مناسبة يتحلل فيها المؤمن من قيود العبادة، فالمؤمن عبد الله في جميع ظروفه وسائر أحواله، والدين لا يريد للعبد أن يفقد الصلة بربه لحظة من ليل أو نهار، وإنما تجري الأمور في تصور الدين على أن الحياة رحلة يضع المؤمن بعد كل مرحلة من مراحلها رحاله كما يلتقط أنفاسه ويهدئ أعصابه المشدودة، ثم هو يستأنف بعد راحته القصيرة مرحلة أخرى من مراحل الجهاد الروحي، والحياة الخاشعة النقية. من أجل هذا حفل العيد في نظر الدين بالكثير من الوصايا والشعائر والمناسك التي تجعل له رسالة اجتماعية إلى جانب أنه مناسبة إسعاد وبهجة لأبناء الأمة الإسلامية على اختلاف الأعمار والمستويات.

وقد ربط الدين هذا العيد بقيمة من القيم الاجتماعية هي التضحية، والتضحية في أبسط معانيها تنازل الفرد عما يملك مما لا يحتاج إليه لمن لا يملك شيئاً وهو في حاجة إليه، ولكنها في ثوبها الإسلامي المنشود لهذا اليوم تعني أن يذبح القادر أضحيته، فيوزع منها قدراً على الفقرآء، ويهدي قدراً لذوي الأرحام والأصدقاء، ويوسع على عياله يطعمهم

ويدَّخر إذا شاء. فالعلاقة الاجتماعية هذا اليوم كما يريد لها الدين علاقات ود وعطاء، وحب وصفاء، علاقات سخاء نفسي ومادي يتمثَّل في توزيع قدر محدد من الأضحية على الأحباب والفقراء والأقرباء، وعلاقات رضى نفسي ومادي لدى أولئك الآخذين، وتلك حالة من التواصل الاجتماعي المحمود تضفي على العيد معنى اجتماعياً، وتمنحه طاقة من الحيوية مصدرها التضحية الكريمة في يوم شاء الله له أن يكون كريماً.

أرأيتم أيها المسلمون شعار عيدكم لقد بدأتموه بالتكبير منذ طلوع فجره، ولسوف تغمرونه بهذا التكبير طوال أيامه الأربعة، ولكن هتافكم بأن الله أكبر مقترن بإذعانكم لأمر الله الأكبر، وإحسانكم إلى عباده الذين لم يبلغوا ما بلغتم من طيبات الحياة فعجزوا عن التضحية، حين قدرتم عليها، ومن هنا نفهم ما تضمنته الآية الكريمة ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٢].

فالأضاحي شعيرة من شعائر الله بالنسبة إلى الحجيج في مكة وغير الحجيج في سائر البلاد الأخرى الإسلامية، يتقرَّب بها المضحون إلى الله متى قدروا عليها، إلى جانب ما يصيبهم بفضلها من خير حين تتقارب قلوب الفقراء والأغنياء، وحين تنتفي من المجتمع خلال هذه الأيام السعيدة صورة العوز والفاقة، فيشبع من لم يكن يشبع ويطعمه القادرون، كما تختفي تبعاً لذلك صورة الحقد الاجتماعي، الذي يتجلى في أبشع صوره عند ما يحس المحتاج أن القادر لم يبالِ بِهِ، ولم يلتفت إلى حاجته فشبع وتركه جائعاً، وسعد وتركه بائسًا، وتلكم هي اللمحة التي عبَّر عنها الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ واللحوم والدماء تنالكم أنتم

---

(٢) سورة الحج، الآية: ٣٦-٣٧.

وتتعاطوها فيما بينكم أما ما ينتج عن التضحية فإن أعظم ما فيه صلة العبد بربه، والتقوى التي تشع من تصرفه على نحو يرضي الله سبحانه وتعالى.

فالعطاء من الجانب المادي دون مقابل، ولكنه في ضوء الإيمان بالجزاء الأخروي تقابله سعادة النفس بالتعامل مع الله، وأي سعادة تعدل إحساس المرء بالأمن، يتخلل أنحاء قلبه فينطلق لسانه مكبراً شاكراً لله أنْ هداه إلى معرفته، وأفاض عليه نعمته، وسخَّر له ما في البر والبحر جميعاً منه ﴿ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٣].

ومن هنا عبَّر القرآن الكريم عن ذبح الأضاحي تعبيراً يرفعه إلى درجة النسك فقال سبحانه: ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾. وقد فسَّر أكثر العلماء المنسك في الآية بالذبح، وإن كان عاماً في سائر أبواب العبادات، لأن الذبح في هذا اليوم هو أرقى وأعظم ما يتقرَّب به المتقون إلى الله سبحانه وتعالى.

من أجل هذا اهتم الدين بأن يباشر المؤمن بنفسه عملية الذبح، فيشهد ذبح أضحيته بنفسه، وقد جاء في هذا حديث عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: "ما عمل آدمي من عمل يوم النحر أحب إلى الله من إهراق الدم، وإنه لتأتي يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها، وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع من الأرض، فطيبوا بها نفسًا"[٤]. وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يا فاطمة قومي إلى أضحيتك فاشهديها، فإن لك بأول قطرة تقطر من دمها أن يغفر لك ما سلف من ذنوبك، قالت يا رسول الله ألنا خاصة أهل البيت، أو لنا وللمسلمين؟" قال: "لا بل لنا وللمسلمين"[٥].

---

(٣) سورة الحج، الآية: ٣٧.

(٤) حديث صحيح الإسناد، رواه ابن ماجه والترمذي والحاكم.

(٥) حديث رواه البزار، وأبو شيخ بن حبان في كتاب الضحايا، وروي أيضاً عن طريق أبي القاسم الأصفهاني عن علي، وقد حسنه بعض الأئمة وروايته عن علي.

وليس أسمى من تلك الصورة التي رسمها حديث، الرسول ﷺ لقيمة إهراق دماء الأضاحي، فليس المراد قطعاً مجرد الإهراق، وإنما المراد ما يكون لله منه. ومن السنة أن يشهد المرء أضحيته عند تهيئتها لما ينبعث في نفسه حينئذ من إحساس بتكريم الله له حيث أقدره على الإحسان، ثم إحساسه بالعبرة حين يشهد لحظة مفارقة الحي للحياة، وهي لحظة جليلة تتجسَّد خلالها معاني التقوى فيُقبلُ العبدُ على ربه زاهداً في الملذات راغباً في الباقيات الصالحات: ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾[٦].

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

أيها المسلمون، هذه هي صورة العيد التي رسمها الدين، بل هذا جانب من جوانب الصورة، وإن الجوانب الأخرى التي أرادها الإسلام للعيد لتكمل في الحق تلك الصورة المثالية التي عاشها سلفنا الصالح أيام العيد. والإسلام الذي شرع الأضحية منسكاً للأمة، أراد بذلك أن يحس المسلمون في مكة وفي سائر البلاد بالوحدة الوجدانية التي تربط بعضهم ببعض، فالذين لم ينالوا حظ الحج والزيارة مقبلون أيضاً على ما يقبل عليه حجاج البيت الحرام في ذلك يوم الأغر "وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم" والمسلم في تمثله لهذا المعنى السامي يحاول أن يدنو بسلوكه من المستوى الذي تحقق للحجيج، فإذا تذكر ما هم عليه من طهارة وعفاف وتنـــزه من الإسفاف وتشاغل بالذكر والتقرب، حاول أن يتأسى بحالهم، وعمل على تنقية سلوكه من العادات والأحوال السيئة، وربما كان أبسط آداب الحجيج ما فرض الله سبحانه عليهم من أنه ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾[٧].

فالمسلم الحق يجد نفسه مندوباً إلى أن يلتزم بهذا الأدب الإلهي الذي يتقيد به الحجيج. غير أن هنالك معنى آخر أشمل من ذلك وأكمل هو إحساس المؤمن في مواجهة بيت الله بالصفاء الداخلي الذي يُسقطُ الأحقادَ، ويتناسى ألوان النـــزاع والتخاصم على شؤون

---

(٦) سورة مريم، الآية: ٧٦.

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

الحياة، وأنسب وقت لتصفية هذه التركة الدنيوية الثقيلة، هو مناسبة العيد. فجدير بمن أقبل على الله ونفذ أمره في التضحية بماله أن يضحي بأهوائه، أو بنـــزعاته الشخصية التي حتَّمتْ عليه من قبل أن يخاصم فلاناً أو أن يبغض فلاناً، فالمال أهون ما يُضحي به الإنسان، غير أن التضحية بالأهواء وبالنوازع هي أعسر شيء يتكلفه المسلم في العيد ولكنه ليس عسيراً على من يسَّره الله، والمهم أن هذا الاستعداد للتضحية بالخصومات يجد في مناسبة العيد موسِمًا من مواسم التألق، فالخصوم في العيد متحابون والأباعد متقاربون وعواطف الخير تقود الناس إلى حيث يكون اجتماعهم وتعاونهم على البر والتقوى، حتى لتكتمل في العيد تلك الصورة المثالية التي عبَّر عنها الرسول ﷺ فيما حدَّث به النعمان بن بشير: "ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر جسده بالحمى". (رواه البخاري ومسلم).

إن هذه الموجة من الحب والتعاطف في العيد لتفيض من مستوى الكبار إلى مستوى الأطفال الصغار، فهم يلعبون ويمرحون، ولكن في حدود اللهو البريء الذي لا يفسد الأخلاق ولا ينفي الاعتدال. وأهم ما يمكن أن يتعلمه الأطفال في العيد هو إحساسهم بوجوب ادخار ما يعثرون من نقود فيما لا ينفع، فإن الوطن الذي أنجبهم ورعاهم ينتظر منهم دائماً أن يفكروا في واجبهم نحوه في كل الظروف، والعيد من المناسبات التي يملك فيها الطفل قدراً زائداً من النقود يتحول عند عدم التوجيه إلى رماد وفرقعات مفزعة، ومعاكسات يقبل عليها بعض الفتيان لا تليق بحياة الجد والاستقامة التي يرضاها لهم الإسلام.

فواجبنا نحن المسلمين نحو أبنائنا هو واجبنا نحو أنفسنا وإهمالنا لهم إهمال لأنفسنا التي دعانا الله ورسوله إلى العناية بها في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [٨].

---

[٨] سورة الشمس، الآية: ٧-١٠.

فلا تتركوا أبناءكم في الشوارع كالسوائم الضالة، ولكن أصحبوهم إلى المتنـــزهات والحدائق، لتراقبوا سلوكهم، وأصحبوهم إلى المساجد ليرفعوا أصواتهم بالتكبير وأصحبوهم في توزيع لحوم الأضاحي ليتدربوا على الإحسان العملي وأصحبوهم إلى حيث تتنازلون عن خصوماتكم ليشهدوا بأعينهم كيف تتصافح الأيادي وتتصافى القلوب.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

أيها المسلمون، العيد الذي تستقبلونه فرصة ربانية، أرادها الله لكم سعادة وصفاء وإحساناً، فلا تدعوا من لحظات العيد لحظة بدون صفاء وبدون إحسان وبدون إسعاد للآخرين ولأنفسكم، واذكروا دائماً أن عيدكم الأكبر يوم تتحقق فيه لوطنكم وحدته وتنتفي من أرجائه عوامل فرقته وتلتقي جهود المسلمين في كل مكان على إعلاء كلمته، وترتفع حناجرهم هاتفة بذلك الهتاف المدوي: "الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده الله أكبر ولله الحمد.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم وتقبَّل مني ومنكم تلاوته إنه هو السميع العليم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين، ويا فوز المستغفرين ويا نجاة التائبين.

الخطبة الثانية

الله أكبر (سبعاً).

الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر ولله الحمد، الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونستهديه ونتوكل عليه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئآت أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلِّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فيا أيها المسلمون، اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون. تذكروا قول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[٩]. وقال أيضاً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[١٠]. ويقول تعالى مخبراً وآمراً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ اللهم صلِّ وسلِّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم ارض عن الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن بقية الصحابة والقرابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، اللهم أعز الإسلام والمسلمين ودمِّر أعداءك أعداء الدين، واجعل اللهم كلمتك هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى، اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا، ولا تسلِّط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، اللهمّ ولِّ أمورنا خيارنا، ولا تولِّ أمورنا شرارنا برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم اغفرلنا ولجميع المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنك سميع قريب مجيب الدعوات، وقاضي الحاجات، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، آمين يارب العالمين.

عباد الله، إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله العظيم يذكركم واسألوه من فضله يُعطكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(٩) سورة الحج، الآية: ٣٢.

(١٠) سورة الصف، الآية: ١٠-١١.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه السابقين إلى الخيرات، ومن دعا بدعوته إلى يوم يدخل فيه المتقون الجنات. أما بعد:

فأحمد الله عز وجل وأشكره وأُثني عليه، حيث أعانني ووفقني لإتمام هذا العمل العلمي: "الخطابة بين العلم النظري والفن التطبيقي" الذي تناولْت فيه موضوعات هذا العلم الشريف، من مستلزمات الخطيب الناجح والمؤثِّر في نفوس مستمعيه حتى تكون خطبته مقبولة لدى السامعين من مختلف المستويات الثقافية والاجتماعية من فئات وشرائح المجتمع.

وبعد هذه الجولة في الدراسة العلمية النظرية والفنية التطبيقية في الخطابة، تتجلى لنا أهمية الخطابة، حيث كانت أول وسيلة استخدمها النبي صلى الله عليه وسلم في تبليغ الدعوة عن طريق الاتصال الجماهيري المباشر. ثم توسَّع في ممارساتها من بعده الخلفاء الراشدون والدعاة المخلصون إلى يومنا هذا، وستستمر وسيلة الخطابة ما دامت السماوات والأرض وإلى أن يلقى الناس ربهم.

ولا تزال الخطابة أفضل وسيلة في تبليغ الدعوة، واستمالة وجدان المخاطبين، وتهييج شعورهم، وتحقيق الانفعال والاندفاع للعمل. ومن هنا تكمن أهمية الخطابة للدعوة الإسلامية، باعتبارها من أنجح الوسائل وأكثرها ملاءمة لطبيعة نشر الدعوة الإسلامية، و لم يقتصر دور ها على جانب معين، بل اتسع ليشمل سائر جوانب الحياة، دينياً وثقافياً وسياسياً واجتماعياً وأخلاقياً وغيرها.

ويأتي الاهتمام بالخطابة في العصر الحديث، نظراً لدورها متى ما توفرت لها مقومات النجاح، ومن أهمها خطباء على مستوى المسؤولية والوعي الديني، خطباء يؤمنون بالدعوة

ويخلصون في عملهم، خطباء لا يبتغون بعملهم إلا وجه الله، خطباء يعرفون قواعد وأصول الخطابة، ويبرعون في أدائها وطريقة إلقائها. ولتحقيق هذا الهدف النبيل كان تأليف الكتاب الذي أُقدِّمه لأهل الاختصاص في الدعوة إلى الله، وأرجو أن يكون زاداً للدعاة إلى الله، يبصرهم بمهام عملهم ويساعدهم على الوصول إلى تحقيق هدفهم المنشود وهو الدعوة إلى الله على بصيرة.

ومادة هذا الكتاب في تقديري هي محاولة جادة، في سبيل توضيح معالم الخطابة علماً وفناً، بغرض بلورة ما استجد في علم الخطابة من الوسائل والتقنيات الحديثة التي ساهمت بقوة تأثيرها في الأداء، وسعة نطاق انتشار محتواها جغرافيا حيث في الإمكان أن تصل الخطبة إلى أرجاء واسعة من الكرة الأرضية بفضل القنوات الفضائية التي تنقل الصوت والصورة والحركة في آن واحد.

وهذا الكتاب لا يخلو من القصور والنقصان والكمال لله، فما أصبْتُ فيه فمن الله وبفضله، وما أخطأْتُ فيه فمن قصوري وضعفي، الذي أرجو فيه المغفرة من الله عزَّ وجلَّ والإعذار من الإخوة الدعاة.

هذا وأسالُ الله عزَّ وجلَّ أنْ يتقبَلَ هذا العمل ويجعله ذخراً لي يوم ألقاه، وأن يُصلحَ لي جميع عملي ويجعله خالصًا لوجهه الكريـــم، كما أسأله أنْ ينفعَ به كاتبه، وجميع المسلمين ويجعله صدقةً جاريةً إلى يوم الدين، وأن يغفرلي ولوالديّ ولجميع المسلمين، وأن يجزي عني خيرًا جميع الأساتذة الأفاضل والإخوة الكرام الذين تكرَّموا بإبداء ملاحظاتهم المفيدة، فساهموا في تسديد هذا الكتاب، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلْتُ وإليه أنيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلِّف

الدكتور/ عبد الرحيم أرشد

المراجع والمصادر

١) القرآن الكريم.

٢) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الإمام. ١٤٠١ هـ-١٩٨١م. صحيح البخاري. بيروت: دار الفكر.

٣) أبو الوليد بن أحمد بن محمد بن رشد. ١٩٦٠م. تلخيص الخطابة. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

٤) أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الإمام الحافظ. ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م. المقاصد الحسنى في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة. بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى.

٥) أبو شجاع شيرويه بن شهر دار الديلمي. ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م. الفردوس بمأثور الخطاب. بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى.

٦) أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي. تفسير القرآن العظيم. ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

٧) أبو نعيم أحمد عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبحاني، الإمام الحافظ. صحيح مسلم. ١٤١٧هـ-١٩٩٦م. بيروت لبنان: دار الكتب العلمية.

٨) ابن سعد. الطبقات الكبرى عيون الأخبار. القاهرة: دار التحرير.

٩) ابن منظور. لسان العرب. القاهرة: دار المعارف.

١٠) أحمد أحمد غلوش، الدكتور. ١٩٧١م. علم الخطابة. القاهرة: دار الجيل للطباعة. الطبعة الأولى.

١١) أحمد أحمد غلوش، الدكتور. قواعد الخطابة وفقه العيدين. القاهرة: مطبعة دار البيان.

١٢) أحمد أحمد غلوش، الدكتور. الدعوة أصولها ووسائلها. ١٣٩٩هـ-١٩٧٨م بيروت: دار الكتب اللبناني. الطبعة الأولى.
١٣) أحمد محمد الحوفي، الدكتور. فن الخطابة. القاهرة: دار الفكر العربي. الطبعة الرابعة.
١٤) أرسطوا. الخطابة. تحقيق إبراهيم سلامة. القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
١٥) البهي الخولي، الدكتور. تذكرة الدعاة. القاهرة: دار مرجان للطباعة.
١٦) توفيق الواعي، الدكتور. الخطابة وإعداد الخطيب. ١٤٢٠هـ-١٩٨٩ م. مصر: دار اليقين. الطبعة الثالثة.
١٧) دايل كارينجى. فن الخطابة. ترجمة وتصرف الدكتور رمزي الحسامي. ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م. بيروت: عالم الكتب.
١٨) السعودي عبد المقصود العجمي، الدكتور. دراسات في فن الخطابة. ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م. القاهرة: دار التوفيقية.
١٩) السيد السيد أبو الجود، الدكتور. مختصر في فن الخطابة. ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م. القاهرة: دار الطباعة المحمدية. الطبعة الأولى.
٢٠) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون. المقدمة. ١٩٨٤م بيروت: دار القلم. الطبعة الخامسة.
٢١) عبد الجليل عبده شلبي، الدكتور. الخطابة وإعداد الخطيب. ١٤٠١هـ-١٩٨١م. القاهرة : دار الشروق.
٢٢) عبد القادر سيد عبد الرؤوف الدكتور. أضواء على الخطابة الإسلامية. ١٤١٦هـ-١٩٩٥م. القاهرة: دار الطباعة المحمدية. الطبعة الأولى.
٢٣) عبد الغفار عبد العزيز، الدكتور. الخطابة الدينية بين النظرية والتطبيق. ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م. القاهرة: مؤسسة الوفاء للطباعة.
٢٤) عزت علي السروجي، الدكتور. الخطابة وفن الإلقاء وصلتها بوسائل الإعلام. ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م. القاهرة: دار المجد للطباعة. الطبعة الأولى.

٢٥) علي محفوظ، الشيخ. مذكرة الخطابة. ١٣٦٦هـ-١٩٤٧م. القاهرة: دار الطباعة والنشرة الإسلامية. الطبعة الثالثة.
٢٦) علي محفوظ، الشيخ. فن الخطابة. القاهرة: دار الاعتصام.
٢٧) علي محفوظ، الشيخ. هداية المرشدين. القاهرة: دار الاعتصام.
٢٨) علاء الدين علي بن بلبان الأمير الفارسي. الإحسان بترتيب صحيح بن حبان. ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م. بيروت: دار الفكر. الطبعة الأولى.
٢٩) فرج عبد القادر طه، الدكتور. معجم علم النفس والتحليل النفسي. القاهرة: دار المعارف.
٣٠) محمد أبو الفتح البيانوني. المدخل إلى علم الدعوة. ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م. بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون.
٣١) محمد أبو زهرة، الإمام. الخطابة. القاهرة: دارالفكر العربي.
٣٢) محمد بن إدريس الشافعي، الإمام. الأم. ١٤٠٣ هـ-١٩٨٣م. بيروت: دار الفكرة.
٣٣) محمد رجب الشتيوي، الدكتور. الخطابة الدينية نظريًا وعمليًا. ١٤١٠ هـ-١٩٨٩م. القاهرة: دار الرسالة للتراث. الطبعة الأولى.
٣٤) محمد عقيل بن علي المهدلي، الدكتور السيد. الخطابة ومكانتها في الدعوة الإسلامية. ١٤١٨ هـ- ١٩٩٨م. القاهرة: دار الحديث. الطبعة الأولى.
٣٥) محمد الغزالي، الشيخ. مع الله: "دراسة في الدعوة والدعاة". القاهرة: دار الكتب الحديثة.
٣٦) محمد فؤاد عبد الباقي. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١م. القاهرة: دار الحديث.
٣٧) محمد سعيد رمضان البوطي، الدكتور. فقه السيرة النبوية. ١٩٩١م. بيروت: دار الفكر المعاصر. الطبعة الحادية عشرة.
٣٨) محمود محمد عمارة، الدكتور. الخطابة في موكب الدعوة. ١٤٠٧ هـ-١٩٨٦م. القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

٣٩) مصلح سيد بيومي، الدكتور. الخطابة في الإسلام. ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م. القاهرة: دار الطباعة المحمدية.
٤٠) مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. ١٤٠٠ هـ. القاهرة: دار المعارف.
٤١) نذير محمد مكتبي، الدكتور. خصائص الخطبة والخطيب. ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م. بيروت: دارالبشائر الإسلامية. الطبعة الأولى.
٤٢) هشام يحي الطالب، الدكتور. دليل التدريب القيادي. ١٤١٦هـ-١٩٩٠م. مكتب لندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

المحتويات

المقـــدمة ... ١

القسـم الأول: الخـطابـة علميًـا نظـريـًا

الفصل الأول: الخطابة وأهميتها ونشأتها وصلتها بالعلوم الأخرى

المبحث الأول : التعريف بمبادئ علم الخطابة ... ٧

لمبحث الثاني : أقسام الخطابة ... ١٥

المبحث الثالث : أهمية الخطابة للدعوة الإسلامية وصلتها بالعلوم الأخرى... ٣٠

المبحث الرابع : نشأة الخطابة وتطورها ... ٣٨

الفصل الثاني: أركان علم الخطابة

المبحث الأول : الخطبة وكيفية تكوينها ... ٤٧

المبحث الثاني : خطبة الجمعة وكيفية أدائها ... ٥٨

المبحث الثالث : الخطيب ومنهج إعداده ... ٦٤

المبحث الرابع : المستمع وأسلوب مواجهته ... ٦٦

الفصل الثالث: عوامل نجاح الخطيب الداعية

المبحث الأول : اتباع منهج الخطيب للدعوة ... ٦٩

المبحث الثاني : معرفة طرق تحصيل الخطابة ... ٧٦

المبحث الثالث : سعة المعرفة بالثقافات الإسلامية والعلوم العامة
مراعاة واقعية المجتمع ... ٧٩

المبحث الرابع : صفات الخطيب الداعية ... ٨٣

القسم الثاني: الخطابة فنيًا تطبيقيًا

الفصل الأول: الخطابة الفنية التطبيقية والفرق بينها وبين أشباهها

المبحث الأول : التعريف بالخطابة الفنية التطبيقية ... ٩٥

المبحث الثاني : الفرق بين الخطابة وأشباهها ... ٩٧

الفصل الثاني: الخطبة الارتجالية والإعدادية

المبحث الأول : الخطبة الارتجالية ... ١٠٢

المبحث الثاني : الخطبة الإعـــدادية ... ١٠٦

الفصل الثالث: فن الآداء وطريقة الإلقاء

المبحث الأول : الممارســـة ... ١٠٩

المبحث الثاني : المقومـــات ... ١١١

الفصل الرابع: نماذج من الخطب المعاصرة في مختلف المناسبات

- خطبة الجمعة ... ١٢١
- الخطبة الأكاديمية ... ١٣١
- خطبة في ذكرى ميلاد الرسول ﷺ ... ١٣٧
- خطبة ذكرى الإسراء والمعراج ... ١٤٠
- خطبة ذكرى الهجرة النبوية ... ١٤٤
- خطبة عيد الفطر ... ١٥٠
- خطبة عيد الأضحى ... ١٥٨

الخاتمة ... ١٦٧

المراجع والمصادر ... ١٦٩

المحتويات ... ١٧٣

ISBN 983-2950-12-0